جامعة يحي فارس بالمدية

كلية العلوم الإنسانية والعلوم الاجتماعية

قسم التاريخ

الحج في العهد العثماني بين التأمين والحماية من القرن 10هـ-14هـ الموافق للقرن 16م-20م

مذكرة تخرج للحصول على شهادة الماستر

تخصص :تاريخ حديث ومعاصر

إعداد الطالبتين:

- زينب مزاري
- فضيلة بوعيشة

إشراف الدكتورة:

- نادية طرشون

السنة الجامعية : 1437-1438 هـ /2016-2017م


بسم الله الرحمن الرحيم

بسم الله الرحمن الرحيم

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَأَذِّن فِي ٱلنَّاسِ بِٱلْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ ﴿٢٧﴾ لِّيَشْهَدُوا۟ مَنَٰفِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُوا۟ ٱسْمَ ٱللَّهِ فِىٓ أَيَّامٍ مَّعْلُومَٰتٍ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُم مِّنۢ بَهِيمَةِ ٱلْأَنْعَٰمِ ۖ فَكُلُوا۟ مِنْهَا وَأَطْعِمُوا۟ ٱلْبَآئِسَ ٱلْفَقِيرَ ﴾ الحج: ٢٧ - ٢٨

شكر وتقدير

الشكر لله مولانا وخالقنا الذي منّ علينا بإتمام هذا العمل، وانطلاقا من قوله تعالي: ﴿وَمَن يَشۡكُرۡ فَإِنَّمَا يَشۡكُرُ لِنَفۡسِهِۦۖ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٞ ﴾لقمان:١٢

نقدم خالص الشكر والعرفان للأستاذة المشرفة على هذه الرسالة نادية طرشون لما أفادتنا به من غزير علمها وما خصصته من ثمين وقتها ولما أبدته من حسن توجيه وإرشاد وتفهم وتعاون طول فترة إشرافها على عملنا.

كما نشكر الاستاذ "الغالي غربي" الذي فتح أبواب مكتبته لنا.

ونقدم جزيل الشكر إلى من درسنا من الابتدائي حتى الجامعي.

إهداء

أجمل ما في الحياة أن يصل الإنسان إلى مبتغاه وأن يتحقق النجاح برضا الله ورضا والديه، فالحمد لله الذي أتم نعمته علي وحقق لي ما رغبت فيه، والصلاة والسلام على الرحمة المهداة سيدنا محمد بن عبد الله.

أهدي ثمرة عملي المتواضع إلى من جعل الله طاعتهما مقرونة بعبادته فقال: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ ٱلْكِبَرَ أَحَدُهُمَآ أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا﴾ الإسراء: ٢٣

إلى التي ربتني وأنارت دربي وأعانتني بالدعاء إلى التي ابتسمت لحظة سعادتي ومسحت بحنانها علي لحظة شقائي إلى نور عيني وفرحة حياتي أمي الحبيبة أدام الله رضاها عني.

وإلى الذي أعانني في الحياة ولم يبخل علي بكل ما يملك إلى والدي الكريم بارك الله في عمره، إليهما اسجل عظيم شكري وأدعو الله أن يبارك في عمرهما ويمدهما بالصحة والعافية.

كما أهدي عملي هذا إلى من جمعتني بهم ظلمة الأرحام ودفعوني للحياة بكل إرادة وإصرار وعلموني أن الحياة كفاح وأن العلم سلاح وحفزوني على اجتياز الصعاب، أخوي العزيزين "توفيق وصحراوي"، وأخوتي "فضيلة، لامية، غنية، نصيرة وكريمة".

إلى الشموع المضيئة والأزهار المفتحة "مريم، رفيف، عبد الرحيم، عبد الجليل"

إلى زميلتي في العمل فضيلة.

إلى كل من ساندني ووقف معي في مشواري الدراسي، وإلى جميع طلبة السنة الثانية ماستر حديث ومعاصر.

أرفع هذا العمل المتواضع.

زينب

إهداء

الحمد لله وحده، أحمده وأشكره على أنه وفقني لأكمل هذا العمل، والصلاة والسلام على خاتم الانبياء والمرسلين سيد الخلق أجمعين.

إلى من قال فيهما الله عز وجل ﴿وَبِٱلۡوَٰلِدَيۡنِ إِحۡسَٰنًاۚ ٢٣﴾الإسراء: ٢٣

على العزيزة الغالية التي غمرتني بحنانها وزودتني بعطفها وكرست لي كل وقتها وجهدها ورافقتني خطوة بخطوة إلى ان اتممت مستواي الدراسي وكانت خير قدوة لي أمي العزيزة.

إلى والدي رحمة الله عليه.

وإلى جدي وجدتي رحمة الله عليهما.

إلى نصفي الآخر الذي لم يبخل عليا يوما بشيء فكان السند وخير معين زوجي الغالي كمال.

إلى ابتسامة المنزل وأمانة حياتي أولادي، "محمد عبد الإله وحذيفة عبد الغفور".

على من هم أقرب من روحي إلى من شاركني حضن امي بهم استمد عزتي وإصراري إلى القمرين اللامعين "فاروق ومحمد" وأختي الوحيدة "هجيرة"

إلى من عملت معي بكد بغية اتمام هذا العمل إلى صديقتي ورفيقة الدراسة، "زينب".

إلى الأخوات اللواتي لم تلدهن أمي إلى من تحلو بالإخاء وتميزوا بالوفاء والعطاء سعدت برفقتهم في دروب الحياة الحلوة والحزينة، حسين عائشة، ذباح نصيرة، العيموش خيرة، دون أن أنسى جميع أساتذة التاريخ وعلى رأسهم الاستاذ عبد الرحمان نواصر وكافة طلبة سنة ثانية ماستر تاريخ حديث ومعاصر.

إلى كل من يحمل لقب بوعيشة وبوناجي

أهدي عملي المتواضع.

فضيلة

مقدمة

مقدمة:

لقد جعل الله البيت الحرام قبلة للناس يولون وجوههم شطره وتهوي إليه أفئدتهم حيث يقول الله تبارك وتعالى في كتابه الكريم: ﴿وَإِذْ جَعَلْنَا ٱلْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأَمْنًا وَٱتَّخِذُوا۟ مِن مَّقَامِ إِبْرَٰهِـۧمَ مُصَلًّى ۖ وَعَهِدْنَآ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ أَن طَهِّرَا بَيْتِىَ لِلطَّآئِفِينَ وَٱلْعَٰكِفِينَ وَٱلرُّكَّعِ ٱلسُّجُودِ﴾البقرة:١٢٥.

فعند هذا البيت تتنزل الرحمات وتسكب العبرات وتمحى السيئات وتضاعف الحسنات، ولما كانت مكة المكرمة تضم الشعائر الدينية للمسلمين جعل الله أفئدتهم معلقة بها، وباعتبار الحج ركن من أركان الإسلام الخمسة يجتمع فيه المسلمون من كل بقاع الأرض حرص الخلفاء والملوك والسلاطين على رعايته والاهتمام به وذلك حتى ترتفع منزلتهم ويعلوا ذكرهم في نفوس المسلمين.

وعليه حظيت مكة المكرمة والمدينة المنورة بمكانة مرموقة منذ عهد النبي عليه الصلاة والسلام وعصر الخلفاء الراشدين وبعدهم الأمويين ثم العباسيين فالأيوبيين فالمماليك، غير أن هذا الاهتمام ازداد في العهد العثماني باعتبار أن الدولة العثمانية كانت حامية العالم الإسلامي آنذاك، فالعثمانيون منذ قيام دولتهم عبروا عن مدى حبهم واحترامهم للحرمين الشريفين وذلك حتى قبل أن يمتد نفوذهم للحجاز.

فأغلب المؤرخين الذين كتبوا أو أرخو لتاريخ مكة المكرمة والمدينة المشرفة من بينهم عبد القادر بن محمد الأنصاري الجزيري وأحمد الرشيدي صاحب كتاب حسن الصفا والابتهاج بذكر من ولي إمارة الحاج والأزرقي صاحب كتاب أخبار مكة يجمعون أن العهد العثماني هو ازهى العهود، نظرا لما بذله العثمانيون من خدمات لتيسير الحج للراغبين فيه، فقد أنشأت بالحرمين الشريفين مؤسسات الأوقاف في المجالات الصحية والتعليمية تتلائم مع طبيعتها الاجتماعية المتغيرة باستمرار بسبب وفود الحجاج إليها.

وتكمن **أهمية هذه المذكرة** في كونها تلقي الضوء على جانب مهم من جوانب الحياة الدينية للمجتمعات الإسلامية، ألا وهو الحج في العهد العثماني، وفيها نتعرف عن قوافل الحج الأربعة التي كانت تخرج من عواصم الأمصار الإسلامية وعن طرقها ومحطاتها التي تمر بها، وما أضافته هذه الشعيرة لمكة المكرمة والمدينة المنورة، كما تطلعنا عن الدور الذي قام به العثمانيون لحماية الحج وتأمينه من خلال توفير سقاية الحاج بالحرمين الشريفين وعلى طرق الحج وإنشاء القلاع والحصون وتوفير الجند لحراسة هذه الأماكن.

تقع دراستنا هذه في الفترة الممتدة من القرن العاشر الهجري الموافق للسادس عشر ميلادي إلى القرن الرابع عشر الهجري الموافق للقرن العشرين ميلادي، محصورة بين تأريخين معلمين هما سنة 923هـ/1517م الذي يمثل انضمام الحجاز للدولة العثمانية وسنة 1335هـ/1916م تاريخ انفصال الحجاز عن العثمانيين.

الإشكالية:

يندرج هذا الموضوع ضمن المحاولات التي تهدف إلى إبراز جهود العثمانيين في حماية الحج وجعله متاحا للجميع ويسلط الضوء على الحج فب العهد العثماني ويجرنا هذا إلى طرح **الإشكالية التالية:**

"كيف كان الحج في العهد العثماني؟"

ومن خلال هذه الإشكالية يمكن طرح التساؤلات الآتية:

- ما مدى الأهمية التي أولتها الدولة العثمانية للحج؟ وهل وجدت علاقة بين العثمانيين وأشراف الحجاز قبل الانضمام؟ وماهي أهم قوافل الحج في العهد العثماني؟ وكيف قام العثمانيون بتأمين وحماية الحجاج وقوافلهم؟.

وللإجابة عن هذه الإشكالية اتبعنا **المنهج التاريخي الوصفي** يتخلله المنهج السردي.

وسبب اختيارنا لهذا الموضوع هو الرغبة في إبراز مكانة الحج في العهد العثماني، كونه موضوع شيق يهم كافة الباحثين ويعرفنا على مدى أهمية الركن الخامس في الإسلام بالنسبة للدولة العثمانية سواء من الناحية السياسية والاقتصادية وحتى الاجتماعية إضافة إلى أنه موضوع مبهم لنظرا لقلة الدراسات

الأكاديمية التي تطرقت له، ونظرا لوجود إرادة شجعتنا على اختيار هذا الموضوع لتعمق فيه وإبراز دور العثمانيين وخدمتهم للحجاج.

ولدراسة هذا الموضوع انتهجنا الخطة التالية المقسمة إلى مقدمة ومدخل وثلاثة مباحث وخاتمة إضافة إلى عدة ملاحق، فالمدخل جاء تحت عنوان "العثمانيون والحج قبل 923هـ/1517م" تطرقنا فيه إلى علاقة العثمانيين بالحج قبل انضمام الحجاز وأشرنا إلى الوضع الديني لهذه الدولة والعلاقة التي ربطتها مع المماليك، كما تطرقنا إلى الإعانات الموجهة إلى أشراف الحجاز وأهاليها المعروفة "الصرة" وإلى وفود الحجيج العثمانيين، وقد تلاه المبحث الأول المعنون بـ "الحجاز تحت الحكم العثماني" والذي يضم ثلاث مطالب فالمطلب الأول تطرقنا فيه إلى الحجاز من الناحية السياسية، أشرنا فيه باختصار إلى الحج في العهد المملوكي والأوقاف المخصصة للحرمين الشريفين خلال هذه الفترة، وابرزنا أهمية مصر بالنسبة للحجاز في العهدين المملوكي والعثماني، والثاني تحدثنا فيه عن الناحية الاجتماعية للحجاز تطرقنا فيه إلى المؤسسات التي أنشأت في العهد العثماني المتمثلة في مؤسسات تعليمية ومؤسسات خيرية اجتماعية والمطلب الأخير أبرزنا فيه الناحية الاقتصادية للحجاز أشرنا فيه إلى مساهمة الحجاج في التجارة والمهن المرافقة للحج.

أما المبحث الثاني فقد عنوناه بـ "قوافل حج في العهد العثماني" الذي انقسم بدوره إلى أربعة مطالب، درسنا في المطلب الأول قافلة الحج الشامي وتناول المطلب الثاني قافلة الحج المصري والمطلب الثالث قافلة الحج العراقي وتطرقنا في المطلب الأخير إلى بيان قافلة الحج اليمني.

والمبحث الثالث والأخير جاء تحت عنوان "تأمين الدولة العثمانية وحمايتها للحج" يندرج ضمنه ثلاثة مطالب الأول بعنوان خدمات العثمانيين لتأمين الحج تطرقنا فيه إلى المنشآت المائية بالحرمين الشريفين وعلى طول طرق الحج كما اشرنا إلى تمويل وتموين الحجاج كما اشرنا إلى الخط الحديدي الحجازي وفي المطلب الثاني تحدثنا فيه عن دور الدولة العثمانية في حماية الحجاج وقوافلهم أبرزنا فيه جهود العثمانيين في التصدي للهجمات البرتغالية ودورهم في حماية قوافل الحج، والمطلب الثالث بعنوان

رعاية العثمانيين للحرم المكي والمدني اشرنا فيه إلى ترميم الكعبة المعظمة والمسجد الحرام والملحقات المباركة الخاصة بالكعبة.

احتوت الخاتمة مجموعة من الأفكار والاستنتاجات التي استخلصناها من الدراسة. وارفقنا دراستنا هذه بمجموعة من الملاحق كصور والخرائط للتوضيح استقيناها من بعض الكتب مثل كتاب الرحلات الحجازية للمؤلف محمد الصادق باشا.

وفيما يخص مصادر البحث ومراجعه فهناك العديد من الكتب التي اعتمدنا عليها من بينها كتاب "الدرر الفرائد المنظمة في أخبار الحاج وطريق مكة المعظمة" لصاحبه عبد القادر بن محمد الانصاري الجزيري الذي يعتبر من أهم مصادر القرن 10هـ/16م الذي تناول قسما كبيرا من جوانب موضوعنا، واعتمدنا كذلك عن كتاب "حسن الصفا والابتهاج بذكر من ولي إمارة الحاج" للمؤلف الشيخ أحمد الرشيدي، فقد أطلعنا هذا المصدر عن قافلة الحج المصري وعن نظام الحج الذي أوجده العثمانيون في مصر.

واستقينا معلوماتنا عن قافلة الحج الشامي من كتاب "حوادث دمشق اليومية" لصاحبه البديري الحلاق الذي تحدث فيه بالتفصيل عن قافلة الحج الشامي في القرن الثاني عشر الهجري الموافق للثامن عشر ميلادي، ولإثراء البحث اعتمدنا على كتب الرحالة من بينهم عبد الله بن محمد العياشي في رحلته الموسومة بـ "الرحلة العياشية" الذي رافق قافلة الحج المصري وتحدث عن أهم المحطات التي مر بها، كما استعنا ببعض الرحالة الاجانب امثال الرحالة التركي أوليا جبلي الذي زار مصر وكتب عنها في رحلته المسماة بـ "سياحتنامة".

ودعمنا موضوعنا ببعض المراجع التي تطرقت بدورها إلى موضوع الحج نذكر من بينها كتاب "حجاج وسلاطين الحج أيام العثمانيين" لثريا فاروقي الذي تناول الحج كظاهرة سياسية واقتصادية واجتماعية وأشارت فيه إلى قوافل الحج الشامي والمصري والاحتفالات التي ترافقهما، إضافة إلى كتاب آخر بعنوان "العثمانيون في شمال الجزيرة العربية" للمؤلف مطلق البلوي الذي أشار فيه إلى وسائل الدفاعية التي انشاتها العثمانيون مثل الحمايات العسكرية لتأمين طرق الحجاج وقوافلهم.

وكذلك اعتمدنا على الدراسات السابقة كأطروحات الدكتوراه ومذكرات الماجستير مثل المذكرة الموسومة بعنوان "مخصصات الحرمين الشريفين في مصر إبان العصر العثماني" لصاحبها بيومي محمد علي فهيم التي ذكرت بالتفصيل مصادر مخصصات الحرمين كالأوقاف بالإضافة إلى مصروفات الحرمين على الشؤون الدينية والعلمية والاجتماعية، إضافة إلى مذكرة الماجستير المعنوية بـ "مكة المكرمة من بداية الحكم العثماني إلى القرن العاشر الهجري السادس عشر ميلادي" لصاحبتها ابتسام كشميري التي تناولت تاريخ مكة المكرمة بالتفصيل خلال الفترة المدروسة.

وقد واجهتنا صعوبات عديدة في دراستنا لهذا الموضوع المتمثلة في قلة المصادر والمراجع التي تتناول تاريخ الحجاز عامة والحج بصفة خاصة وكذلك قلة المصادر التي تتحدث عن قافلتي الحج العراقي واليمني تحديدا ، إضافة إلى اتساع الموضوع الأمر الذي خلق لنا صعوبة في ضبطه.

وفي الأخير نرجوا أن نكون قد وفقنا إلى حد ما بالإحاطة بشيء من هذا الموضوع الشاسع.

مدخل تمهيدي

تمهيد:

إن من أجل الأعمال في الإسلام بعد الصلاة الحج لبيت الله الحرام، فقد كان لهذا الركن العظيم مكانة كبيرة في قلوب المسلمين من ظهور الإسلام إلى يومنا هذا، يقول الله تبارك وتعالى في كتابه الكريم: ﴿"وَإِذْ جَعَلْنَا ٱلْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأَمْنًا وَٱتَّخِذُوا۟ مِن مَّقَامِ إِبْرَٰهِـۧمَ مُصَلًّى ۖ وَعَهِدْنَآ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ أَن طَهِّرَا بَيْتِىَ لِلطَّآئِفِينَ وَٱلْعَٰكِفِينَ وَٱلرُّكَّعِ ٱلسُّجُودِ﴾البقرة: ١٢٥

فالمسجد الحرام هو أول بيت وضعه الله تعالى لعباده المؤمنين يحيطون به في طوافهم ويجعلونه قبلتهم، وتهوي إليه أفئدتهم إستجابة لدعوة نبيه إبراهيم عليه السلام، فقد قال الله تعالى على لسان إبراهيم: ﴿"رَّبَّنَآ إِنِّىٓ أَسْكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِى بِوَادٍ غَيْرِ ذِى زَرْعٍ عِندَ بَيْتِكَ ٱلْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ فَٱجْعَلْ أَفْـِٔدَةً مِّنَ ٱلنَّاسِ تَهْوِىٓ إِلَيْهِمْ وَٱرْزُقْهُم مِّنَ ٱلثَّمَرَٰتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ﴾إبراهيم: ٣٧

ولما كانت مكة المكرمة قد احتضنت الشعائر الدينية للمسلمين كانت محط أنظارهم وخطيت باهتمام حكامهم وهذا منذ ظهور الإسلام، وذلك أن فرض السيطرة عليها سيكسب أي دولة شوكة دينية وهيبة تستطيع من خلالها تزعم العالم الإسلامي.

والدولة العثمانية على غرار الدول الإسلامية التي سبقتها تمسكت بالحجاز على اعتباره أنه يضم المدينتين المقدستين عند المسلمين مكة المكرمة والمدينة المنورة، وذلك حتى قبل أن تضم الحجاز سنة 923هـ/1517، وذلك من خلال العلاقات التي ربطتها مع أشراف مكة.

فالعاطفة الدينية كانت تأجج نفوس العثمانيين الذين كانوا على استعداد لدفع كل شيء من أجل خدمة الحرمين الشريفين.

دخل الأتراك إلى البلاد العربية في عهد الدولة العباسية وانظموا إلى الجيش وارتقى بعضهم إلى مرتبة أمير أمراء وقاد بعضهم الجيش في دولة الخلافة الإسلامية وقدموا خدمات مهمة. وبهذا اعتنق الأتراك الذين جاءوا إلى البلاد العربية، غير أن الكتلة التركية الأصلية الكبرى التي كانت تقيم في

الدولة التركية بقيت محافظة على ديانتها القديمة، فقد كان الأتراك على الديانة البوذية، غير أن الوضع تغير سنة 312هـ الموافق لـ 924م عندما أعلن الخاقان الأكبر قرة خانلي ساتك بغراخان الذي سمى نفسه عبد الكريم أن الدين الإسلامي السني الحنفي للمذهب هو الدين الرسمي والوحيد للسلالة التركية[1].

لكن عندما اعتنق الترك الإسلام لم يأخذوه بنفس الكيفية فقد أصبح بعضهم ومنهم سلاجقة الروم السنة متشددين، في حين أن الآخرين فقد تأثروا بأشكال إسلامية مختلفة أقل سنية كان ينقلها التجار والمتصوفة ومجموعات "الغزاة" الذين احتكوا بهم على الحدود فقد تأثر الترك بممارسات الدعاة والمتصوفة الشعبين في الوقت الذي لم يطرحوا فيه تماما ديانتهم الشعبية التقليدية[2].

أما بالنسبة لإمارة آل عثمان فيعتقد أن سبب اعتناقها للإسلام هو زواج عثمان بك من ابنة الشيخ أوده بالي [3]، غير أن البعض الآخر يرى أن الصلات التي جمعت أرطغل ثم ابنه عثمان بسلاجقة الروم- وهي دولة إسلامية سنية، كانت هي العامل الرئيسي في اعتناق هذه الإمارة للدين الإسلامي على المذهب السني بسرعة وسهولة، وعلى هذا الأساس أصبح الإسلام هو الدين الرسمي للأتراك العثمانيون[4]، من عهد عثمان بك الذي سار في حكمه على هدى وإيمان عميق وبساطة في الدين وأخضع حكمه لمشورة الفقهاء المسلمين، كما كان للإسلام أثر كبير في مستقبل العثمانيين إذ هيأ لهم وحدة العقيدة وعبأهم بشعور ديني جعلهم متحمسين للإسلام[5].

---

[1] يلماز أوزوتونا، تاريخ الدولة العثمانية، تر، عدنان محمود سلمان، مج1، منشورات مؤسسة فيصل للتمويل، اسطنبول، تركيا، 1988، ص 45-46.

[2] أحمد عبد الرحيم مصطفى، أصول التاريخ العثماني، ط2، دار الشروق، بيروت، لبنان، 1993، ص 15.

[3] المولى أودي بالي ولد بالبلاد القرامانية، ارتحل إلى الشام، قرأ التفسير والحديث والأصول، اتصل بخدمة السلطان عثمان الغازي وزوجه، ابنته عايض مائة وعشرين سنة، مات في سنة 726هـ/1325م، أنظر: طاشكيري زاده الشقائق العثمانية، د.ط، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، 1975، ص 6.7.

[4] محمود محمد الحويري، تاريخ الدولة العثمانية في العصور الوسطى، د.ط، المكتب المصري لتوزيع المطبوعات، القاهرة، مصر، د.ت.ن، ص 36.37.

[5] ياغي، الدولة العثمانية في التاريخ الإسلامي الحديث، د.ط، د.ت.ن، ص 12.

وحتى تظهر هذه الإمارة الحدودية المتاخمة للدولة البيزنطية التي سرعان ما تحولت إلى دولة ثم إلى إمبراطورية حبها ولائها للإسلام والمسلمين قامت بالتقرب من الحكام المسلمين، وربطت علاقات مبكرة معهم.

فقد كانت البدايات الأولى للعلاقات بين السلاطين العثمانيين الأوائل والسلاطين المماليك ودية وطيبة مجسدة في تبادل الهدايا، واعتراف الحكام العثمانيين بالأولوية الدينية والسياسية للمماليك كزعماء للعالم الإسلامي بينما خطوط لأنفسهم دورا متواضعا هو دور البكوات حماة الحدود، وظل المماليك ينظرون من جانبهم إلى الفتوحات العثمانية كجزء من المسألة الإسلامية العامة[1]، والذي زاد العلاقة قوة هو أن الدولتين كانتا تحاربان عدوا مشتركا كان يتهددهما وهو الخطر المغولي.

لقد كانت بداية هذه العلاقات منذ عهد السلطان العثماني مراد الأول: (792هـ-805هـ/1938م-1402) الذي أرسل إلى السلطان المملوكي الظاهر برقوق 784هـ-791هـ/1382م-1388م لتحذيره من مغبة تحرك تيمورلنك نحو الغرب وخطره الدائم عل المماليك، وعلى الرغم من مخاوف برقوق من الخطر المغولي إلا أنه كان يخاف أكثر من الأطماع العثمانية بعدها ساءت العلاقة بينهما، فبعث السلطان المملوكي الظاهر برقوق رسالة إلى السلطان بايزيد الأول (792هـ-805هـ/1398م-1402م) ذكر له فيها أن المملكتين كروحين في جسد واحد، وساعدين في عضد [2]، فقبل بايزيد الأول وعرض على السلطان الظاهر برقوق تشكيل جبهة إسلامية موحدة تلاحق أهل الصليب في عقد دارهم[3]، واستمر تبادل الرسائل بين السلطانين فأرسل بايزيد في السنة التالية كتابا إلى السلطان برقوق يخبره بأنه جهز مائتي ألف فارس لمساندته، وأرسل سنة 798هـ/1396م كتابين إلى القاهرة.

---

[1] محمد سهيل طقوش، تاريخ المماليك في مصر وبلاد الشام 1250-1517، ط1، دار النفائس للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، 1997، ص 399.

[2] أحمد فؤاد متولي، الفتح العثماني للشام ومصر، ط1، الزهراء للإعلام العربي، القاهرة، مصر، 1995، ص 14.

[3] تيسير جبارة، تاريخ الدولة العثمانية 1280م-1924م، د.ط عمادة البحث العلمي والدراسات العليا، جامعة القدس، رام الله، فلسطين، 2015، ص 46.

الأول: إلى الخليفة يطلب منه تفويضا شرعيا بالسلطة بعد انتصاره على التحالف الأوروبي البيزنطي في معركة نيقو بوليس [1]، فمنحه الخليفة العباسي بمصر هذا اللقب مكافأة له على تلك الجهود الكبرى من أجل الإسلام والمسلمين.

والثاني: إلى السلطان الظاهر برقوق يبشره بانتصاره بالإضافة إلى هدية منه مائة أسير من الفرنج الفرنسيين والإيطاليين [2].

ظلت العلاقة في أخذ ورد بين المماليك والعثمانيين لتتوطد أثناء فترة حكم محمد الفاتح 855هـ-886هـ/1451م-1481م، بسبب فتح القسطنطينية الذي أثار فرحة وابتهاج المسلمين، فقام الفاتح بإرسال رسائل إلى حكام الديار الإسلامية في مصر والحجاز وبلاد فارس والهند يبشرهم بهذا الفتح المبين، وهذه مقتطفات من رسالة محمد فاتح إلى سلطان مصر الأشراف إينال" إن من أحسن سنن أسلافنا رحمهم الله تعالى أنهم مجاهدون في سبيل الله ولا يخافون في الله لومة لائم، ولحق على تلك السنة قائمون، وعلى تلك الأمنية دائمون، متمثلون بقوله تعالى: ﴿وَقَٰتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَكُمۡ وَلَا تَعۡتَدُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُعۡتَدِينَ﴾ البقرة: ١٩٠

ومتمسكين بقوله صلى الله عليه وسلم: **"من أغبرت قدماه في سبيل الله حرمه الله على النار"** وجهزنا عساكر الغزاة والمجاهدين من البر والبحر لفتح مدينة ملئت فجورا وكفرا التي بقيت وسط المماليك الإسلامية تباهي بكفرها فخرا... فمتى طلع الصبح الصادق من يوم الثلاثاء العشرين من جمادى الأولى هجمنا عليها مثل النجوم رجما لجنود الشياطين...فقطع دابر الذين ظلموا والحمد لله رب العالمين..." فرد السلطان المملوكي الأشرف إينال برسالة إلى محمد الفاتح تحمل عبارات الشكر والعرفان والثناء عليه [3].

---

[1] نيقو بوليس، معركة وقعت بين العثمانيين بزعامة بايزيد الأول وبين سيجموند ملك المجر الذي تحالف مع القوى الأوروبية في 25 أيلول 1396م انتهت بانتصار العثمانيين وهزيمة المجر والدول الأوروبية الغربية أنظر: محمد سهيل طقوش، تاريخ العثمانيين من قيام الدولة إلى الانقلاب على الخلافة، ط3، دار النفائس للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، 2013، ص 60-61.

[2] طقوش، تاريخ المماليك...، المرجع السابق، ص 401.

[3] محمد علي الصلابي، فاتح القسطنطينية محمد الفاتح، ط1، دار التوزيع والنشر الإسلامية، القاهرة، مصر، 2006، ص ص 122-123-124.

هذا بالنسبة للعلاقات السياسية التي كانت تربط بين العثمانيين والمماليك أما فيما يخص العلاقات الدينية فإن العثمانيين كانوا شغوفين بالإسلام ومرتبطين به ارتباطا وثيقا ساعين في كل مناسبة لتأكيد انتمائهم للعالم الإسلامي، وقد تجلى هذا الحرص في تقديم خدمات جليلة للإسلام، والاهتمام بمكة المكرمة العاصمة الدينية الأولى للمسلمين، إضافة إلى مدينة الحبيب محمد عليه أفضل صلاة وسلام، فقد كانت خدمة البقاع المقدسة شرفا يطمح كل الحكام المسلمين في الظفر به، ولهذا فإن السلاطين العثمانيين لم يجعلوا علاقتهم مقتصرة على المماليك فقط بل تعدتها لتشمل أشراف الحجاز لتقوية نفوذهم الديني.

فقد قدم العثمانيون إعانات للحرمين الشريفين سميت بـ: "الصرة *surre*"[1] أول من أرسل هذه الإعانات من السلاطين العثمانيين هو السلطان بايزيد الأول 792هـ-805هـ/1389-1402م، وابنه السلطان محمد حلبي 816هـ-825هـ/1413م-1421م، بعدها أخذ ابنه مراد الثاني 825هـ-855هـ/1421م-1451م، يرسل إلى مكة المكرمة والمدينة المنورة والقدس ومنطقة الخليل صرة مقدارها 3500 فلوري[2]، وقد خصص السلطان نفسه إيرادات قرى بالبيق حصار ***balik hisari*** وفقا لمكة، وبعد فتح قسطنطينية أرسل السلطان محمد الفاتح رسالة إلى شريف مكة تأكيدًا لارتباطه الديني بالعالم الإسلامي وحرصه على إرضاء الأوساط الدينية بمكة المكرمة وفيما يلي مقتطفات من هذه الرسالة:.... "فقد أرسلنا هذا الكتاب مبشرا بما رزق الله لنا هذه السنة من الفتوح التي لا عين رأت وأذن سمعت...وبعثنا هدية لكم خاصة ألفي فلوري من الذهب الخالص التام الوزن والعيار المأخوذ من تلك الغنيمة وسبعة آلاف فلوري آخذ للفقراء.

---

[1] الصرة أو الصر هي أموال التي كان يرسلها السلاطين العثمانيين لأمراء مكة وأشرافها وفقراءها في مواسم الحج لإنفاقها على العلماء والفقراء في الحرمين المكي والمدني، كما كان يرسل قسم منها إلى شيوخ القبائل البدوية لضمان عدم إعتدائهم على قوافل الحجيج، يطلق على حاملها لقب أمين الصرة (الصرة أميني) الذي كان ينطلق حاملا هذه الأموال في 12 رجب من كل عام لإيصالها إلى أصحابها قبل مرور قافلة الحج، أنظر، مصطفى عبد الكريم، الخطيب، معجم المصطلحات والألقاب التاريخية، ط1، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، 1992، ص 289.

[2] عملة مدنية جنوة الإيطالية وكانت قيد التعامل في الدولة العثمانية إلى جانب عملات أخرى محلية غير رسمية، وتسمى أيضا الفلوري الإفرنجي وهي عملة ذهبية أنظر: إسماعيل حقي جارشلي، أشراف مكة وأمراءها في العهد العثماني، تر , علي مراد، ط1، الدار العربية للموسوعات، بيروت، لبنان، 2003، ص 37.

منها ألفان للسادات والنقباء وألفان للخدام المخصوصة بالحرمين والباقي للمتمكنين المحتاجين في مكة المعظمة والمدينة المكرمة، زادهما الله شرفا، فالمرجو منكم التقسيم بمقتضى احتياجهم وفقرهم..." [1].

وفي عهد السلطان بايزيد الثاني 776هـ-918هـ/1481م-1512م، وبموجب العقد الذي أبرم بينه وبين السلطان المملوكي قايتباي أصبحت المساعدات العثمانية الموجهة إلى الحرمين الشريفين تدخل ميناء الإسكندرية وتصل إلى مكة مع قافلة الحج المصري[2]، أما الصرة التي أرسلها والتي كانت مخصصة لأهل مكة والمدينة المعظمتين مناصفة بينهما، فقد بلغت 14000 دوكا ***duka*** ذهبية[3]، وكانت هذه الصرة ترسل سنويا لمكة في عيد الأضحى.

في حين أن الصرة التي كان يرسلها السلطان سليم الأول 918هـ-926هـ/1512م-1520م، فقد بلغت ضعف الصرة التي أرسلها والده، وفيما عدا هذا فإن السلطان سليم الأول قد أرسل بعد دخوله إلى مصر مبلغ 500دوكا لكل من الشرفاء وستة قروش ذهبية لبقية المشايخ ودوكا واحدة لكل من الفقراء خارج مكة الذين أحصوا فردا فردا، إضافة إلى كمية من الحبوب قام بإرسالها لأهالي الحرمين الشريفين[4].

هذا بالنسبة لمخصصات الحرمين الشريفين، أما بالنسبة لوفود الحجيج العثمانيين فقد كانت تفد إلى مكة المكرمة رفقة قافلة الحج الشامي وغالبا ما كانت تأتي معظم شخصيات من المسؤولين العثمانيين لأداء فريضة الحج والقيام بالمهام الموكلة إليهم[5]، حيث حج قاضي بلاد الروم شمس الدين

---

[1] عبد الجليل التميمي، دراسات في التاريخ العربي العثماني، 1453، 1918، ط1. منشورات مركز الدراسات والبحوث العثمانية والمورسكية وتوثيق المعلومات، زغوان، تونس، مارس، 1994، ص 40-41.

[2] ابتسام عبد الرحمان كشميري، مكة من بداية الحكم العثماني إلى نهاية القرن العاشر الهجري، أطروحة دكتوراه، جامعة أم القرى المملكة العربية السعودية، 2001، ص 43.

[3] الدوكا هي عملة مدينة البندقية الإيطالية وكانت قيد التداول في الدولة العثمانية وهي عملة ذهبية، جارشيلي، أشراف مكة...، المرجع السابق، ص 39.

[4] نفسه، ص 39.

[5] كشميري، مكة من بداية الحكم...، المرجع السابق، ص 40.

محمد بن حمزة بن محمد الفناري الرومي الحنفي[1]، (821هـ/1418م)كما حج ذلك وزير السلطان مراد الثاني 824-855هـ/1421م-1451م ومعه مال جزيل فرقة على المستحقين في الحرمين، وأذاب ثلاث مئة وستين قمح سكر مصري في ساقية قبة عباس فلم يحل الماء فزاد قنطارين عسل نحل وملء قراب الساقين وخرجوا بذلك إلى المسعى فسقوا الحجيج[2].

وفي سنة 882هـ/1481م وفد الأمير جم بن محمد الفاتح إلى مكة المكرمة لأداء فريضة الحج في الوقت الذي كان فيه فارا من أخيه بايزيد الثاني ولاجئا في مصر، حيث يعتبر الأمير جم هو الشخص الوحيد من بني عثمان الذي حج طوال 8 قرون، والسبب هو أن وضع الخلفاء والسلاطين مختلف عن وضع المسلمين فالجهاد وصد هجمات العدو وتأمين المسلمين أولى عندهم من أداء فريضة الحج حفاظا على أرواح المسلمين فسلاطين بني عثمان حتى عهد السلطان سليم الثاني قضو نصف أعمارهم في حملات الجهاد في سبيل الله، وقد أعطى شيوخ الإسلام فتوى للسلاطين حول وجوب ترجيح فريضة الجهاد على الحج[3] . وهناك من حج كذلك من الأميرات العثمانيات [4].

كما كان هناك مسؤولون عثمانيون آخرون كانوا يأتون مع الحجاج بصفة دورية منهم وكيل الصدقة الرومية أو الصرة ومنهم كذلك السفراء أو الرسل، كما اهتم العثمانيون كذلك بخروج قوافل الحجاج وبإصلاح الطرق التي يمرون بها ليس داخل حدود دولتهم فحسب وإنما تعدتها لتشمل المناطق الخاضعة لسلطة المماليك، فقد أبدى عدد من السلاطين العثمانيين أشهرهم محمد الفاتح وبايزيد

---

[1] هوشمس الدين محمد بن حمزة بن محمد الفناري الرومي الحنفي، كانت صنعته الفنار، وعارفا بالعلوم العربية وعلمي المعاني والبيان وعلم القراءات، ولد في صفر 751هـ/1350م، ولي القضاء وأصبح مفتي في الدولة العثمانية,توفي في عام 834هـ/1430م، أنظر: طاشكيري زادة، الشقائق العثمانية، المصدرالسابق، ص 17.

[2] النجم عمر بن فهد، إتحاق الورى بأخبار أم القرى، تح, فهيم محمد شلتوت، ج3، د.ط، دار الجيل للطباعة، القاهرة، مصر، ص 568.

[3] أحمد آق كندوز وسعيد أوزوترك، الدولة العثمانية المجهولة، د.ط، وقف البحوث العثمانية، د.م.ن، 2008، ص 292.

[4] يلماز أوزوتونا، المرجع السابق، ص 186.

الثاني رغبتهم في إصلاح مصادر المياه على طرق الحج وفي مكة بعد أن اشتكى حجاجهم من ندرة المياه والمشقة في الحصول عليها [1].

ومما سبق ذكره نستنتج أن العثمانيون ساهموا في تحسين ظروف الحج والاهتمام بالحرمين الشريفين وذلك قبل ضم الحجاز 923هـ/1517م، كما خلقوا لأنفسهم قاعدة شعبية سهلت فيما بعد ضم الحجاز بكل يسر و سهولة.

[1] كشميري، المرجع السابق، ص 42.

المبحث الأول:

الحجاز تحت الحكم العثماني 923هـ/1517م

المبحث الأول: الحجاز تحت الحكم العثماني 923هـ/1517م

المطلب الأول: من الناحية السياسية.

1- الحج في العهد المملوكي 648-923هـ/1250-1517م

أ-الأوقاف المخصصة للحج في العهد المملوكي.

ب-أهمية مصر في العهدين المملوكي والعثماني

2- الحج في عهد السلطان سليم الأول 923-926هـ/1517-1520م

3- سياسة سليمان القانوني في الحجاز 926-974هـ/1520-1566م

المطلب الثاني: من الناحية الاجتماعية.

مؤسسات الأوقاف في العهد العثماني

1- المؤسسات التعليمية.

2- المؤسسات الخيرية الاجتماعية

المطلب الثالث: من الناحية الاقتصادية.

1-مساهمة الحجاج في التجارة.

2-المهن المرافقة للحج.

المطلب الأول: من الناحية السياسية.

تكمن أهمية الحجاز في موقعها الجغرافي فهي حلقة اتصال بين الشرق والغرب ومعبر للقوافل التجارية وقوافل الحج ومفتاح الخليج العربي والبحر الأحمر، أما بالنسبة لأهمية الحجاز في التاريخ الإسلامي فهي عظيمة لأنها مهد الإسلام وتضم أقدس عواصم المسلمين مكة المكرمة والمدينة المنورة، فقد ارتبط الحجاز بالعالم الإسلامي بفضل الأعداد الكبيرة التي تفد إلى المنطقة سنويا لأداء فريضة الحج.

ونظرا لأهميتها حرصت كل الدول الإسلامية التي توالت على حكم المسلمين على بسط نفوذها عليها من الأمويين إلى العباسيين إلى الإخشيدين العثمانيين لم يكونوا بمنأى عن ذلك.

ولكن قبل أن نشرع في الحديث عن ضم الحجاز للدولة العثمانية على يد السلطان "سليم الأول"(1)، (918هـ-927هـ/1512-1520م) وقبل أن غوص في الحديث عن الحج في العهد العثماني وجب علينا أن نشير إلى نقطتين أساسيتين هما: الحج في العهد المملوكي طرقه ومحطاته وإسهامات السلاطين المماليك لتسهيله، وأهمية مصر في العهدين المملوكي والعثماني.

1. الحج في العهد المملوكي:

حظي الحج في العهد المملوكي بأهمية كبيرة لكن المماليك في بداية حكمهم الذي تلى سقوط الخلافة العباسية (656هـ/1218م) انشغلوا بحماية مصر وتأمينها من الغزو المغولي ولذلك لم يشغلهم أمر الحجاز.

---

(1) هو الملك المظفر سليم شاه، ابن السلطان بايزيد (1481-1512م) ابن محمد الفاتح ابن السلطان مراد خان ابن بايزيد ابن أورخان ابن عثمان بن أرطغل، تولى الحكم بعد خلع أبية حكم من 918هـ-927هـ/1512م-1520م) جلس على سدة الحكم وعمره 46 سنة، تصدى للخطر الصفوي وفتح الشام ومصر وفي عهده تم ضم الحجاز، فأصبح يلقب بحامي الحرمين الشريفين، أنظر: محمد بن احمد بن إياس الحنفي المصري، بدائع الزهور في وقائع الدهور، مج 3، د.ط، مطابع الشعب، مصر 1960، ص 1080.

وبعد أن تحسنت الأوضاع في عهد السلطان ركن الدين بيبرس البند قداري الصالحي النجمي[1] 658هـ- 676هـ/1260-1277م، أخذ يقوي قبضته على الحجاز خاصة بعد إحياء الخلافة العباسية فقد شعر الظاهر بيبرس بشدة تأثير المسلمين بعد سقوط بغداد وخلو منصب الخلافة من خليفة يكون له المقام الروحي المرموق، وأيضا ليجعل منها سندا للسلطة المملوكية التي كانت بحاجة ماسة إلى دعم روحي يجعلها مهيبة الجانب والأهم من هذا حتى يظهر أمام العالم الإسلامي بمظهر الحامي للخلافة، لهذا قام بمبايعة الأمير العباسي "أبو القاسم أحمد" الذي فر من المغول، وكان ذلك في يوم الثامن من رجب 259هـ/1261م.

تلقب أبو القاسم بلقب الخليفة المستنصر بالله، وهذا الأخير قام بدوره فقلد السلطان المملوكي الظاهر بيبرس البلاد الإسلامية وما يضاف إليها وما سيفتحه الله على يده من بلاد الكفار وألبسه خلعة السلطنة [2]، وبذلك أصبح الظاهر بيبرس سلطانا شرعيا[3].

خلال هذه الفترة كانت هناك إمارتين بالحجاز، أولهما إمارة مكة المكرمة وإمارة المدينة المنورة، ولما أدرك شريف مكة الشريف أبو نمس ببعد نظره أن المماليك غدوا مركز الثقل في العالم الإسلامي.

---

[1] الظاهر بيبرس أصله تركي أخذ من بلاده وهو صغير فبيع لشخص يسمى العماد الضائع ثم بعده اشتراه منه الأمير علاء الدين، البند قداري بعدها أعتقه، تدرج في المناصب إلى أن تولى الحكم في 15 ذي القعدة سنة 658هـ/1260م بعد أن قتل الملك المظفر قطز لقب الظاهر بيبرس بالملك القاهر أبي الفتوحات توفي سنة 176هـ/1277م، أنظر المصدر نفسه، المجلد 1، ص 81 ص 92-93.

[2] الخلعة السلطانية هي عمامة سوداء مذهبة ومزركشة وجبة حرير سوداء ودراعة (جبة مشقوقة من الأمام ولا تكون إلا من صفوف) بنفسجية اللون وطوق من ذهب وسيف ولواءان ينشران على رأسه، وسهمان كبيران، أنظر: طقوش، تاريخ المماليك المرجع السابق، ص 95.

[3] نفسه، ص 93-94.

أعلن ولائه لهم [1]، لكن المماليك لم يتمكنوا من فرض سلطة مركزية مباشرة على الحجاز إلا من خلال الإعتماد على سياسة التوازن بين القوى المحلية من خلال الإبقاء لإمارة الأشراف في مكة استقلالها [2].

بعد أن تأكد للمماليك فرض سيطرتهم على الحجاز وعلى اعتبار أن الحج ركن من أركان الإسلام الخمسة، يحظر إليه أعظم العلماء والفقهاء، الزعماء والملوك، الأغنياء والفقراء، فإن السلاطين المماليك كانوا حرصين على خدمة الحرمين الشريفين وذلك لترتفع منزلتهم ويعلو ذكرهم في قلوب المسلمين، بل إن اهتماماتهم تعدت شئون الحرمين الشريفين وما يتعلق بهما من حيث توفير الراحة والأمن للحجاج في سلكهم لهذه الطرق [3]خاصة وأن هذه الطرق تأتي منها منافع عديدة فمن الجانب المعنوي تنتهي هذه الطرق باللقاء بالبيت الحرام والمشاعر المقدسة التي تضم المسلمين من كل لون وجنس، أما على الصعيد المادي فقد اهتم المماليك بتشييد المساجد والمنازل والقصور والخانات والقلاع والآبار لخدمة الحجاج، وفي المنازل الرئيسية الدروب أقيمت الأسواق التجارية لتلبي حاجة الحجاج[4].

فقد قام الظاهر بيبرس بعدة إصلاحات بالحرم النبوي وأرسل الكسوة إلى الكعبة كما أرسل الصدقات والزيت والشموع والطيب والبخور مع كسوة لقبر النبي صل الله عليه وسلم، وأخيرا أدى فريضة الحج عام 667هـ/1269م[5]، كما قام بتوسعة مضائق "عقبة آيلة"[6]، ومهد طريقها من

---

[1] آمنة حسين علي جلال، طرق الحج ومرافقة في الحجاز في العصر المملوكي 648هـ-923هـ، أطروحة دكتوراه، في التاريخ الإسلامي، جامعة أم القرى، م.ع.س، 1987، مأخوذة من المقدمة.

[2] كشميري، المرجع السابق، ص 06.

[3] علي جلال، المرجع السابق، ص 06.

[4] نفسه، ص 03.

[5] طقوش، تاريخ المماليك،...، المرجع السابق، ص 108.

[6] عقبة آيلة، هي قرية صغيرة تقع على جبل عالي صعب المرتقي وعلى جانبها أودية بعيدة المهوى، تقع جنوب الأردن حاليا، أنظر: علي جلال، المرجع السابق، ص 43.

الصخور، ومما يدل على اهتمام المماليك بقافلة الحج البرية أنهم كانوا يدفعون الأموال الضخمة من أجل تأمين طريقها إلى الحجاز[1].

إضافة إلى هذا فقد اهتم السلاطين المماليك بكسوة الكعبة اهتماما بالغا، وعلى هذا فإن أول من كساها هو السلطان الظاهر بيبرس سنة 661هـ/1262م ولما حج غسل الكعبة المشرفة بيده بماء الورد وعمل سُتور الديباج لها وللحجرة النبوية، كما أرسل السلطان محمد بن قلاوون 684هـ-741هـ/1258م-1341م كسوة إلى الكعبة سنة 826هـ/1230م كسيت بها في اليوم الثامن من النحر، كما كساها "الملك الصالح إسماعيل بن ملك الناصر محمد بن قلاوون" 746هـ/1342م من الوقف الذي أوقفه على كسوة الكعبة والحجرة النبوية الشريفة والمنبر النبوي في كل خمس سنوات مرة، واستمر سلاطين مصر في العصر المملوكي في إرسال الكسوة فكانت آخر كسوة تلك التي أرسلها السلطان الأشرف "طومان باي" 922هـ-923هـ/1516م-1517م وأرسل معها صدقات لأهل مكة المكرمة[2].

وفيما يخص قوافل الحج فقد أخذت طابعا معينا في العصر المملوكي، وتنظيما دقيقا ومميزا، وذلك أثناء خروجها، فقد كانت لهذه المناسبة أهمية عظيمة إذ كانوا يعنون بها كثيرا وذلك قبل موسم الحج بفترة كافية يستطيعون من خلالها تجهيز هذه القافلة ويزيدون على ذلك حفاوة الاحتفالات التي كانوا يجرونها احتفاء بهذه المناسبة، وقد كانت أهم قافلة في هذه الفترة هي قافلة الحج المصري والتي لم تشمل حجاج مصر فقط بل حجاج شمال وأواسط إفريقيا الذين يجتمعون في مدينة القاهرة ليخرجوا منها باسم ركب الحج المصري[3]، ومن أسباب أهمية هذه القافلة أنها كانت تحمل كسوة الكعبة المعظمة، وقد كان التقليد المتبع أن يخرج الموكب من القاهرة في آخر أسبوع من شهر شوال فيصل إلى

---

(1) علي جلال، المرجع السابق، ص 15-16.

(2) محمد علي فهيم بيومي، مخصصات الحرمين الشريفين في مصر إبان العصر العثماني 1517م-1805م، رسالة ماجستير، جامعة الأزهر، القاهرة، مصر، 1999م، ص ص 4-5-6.

(3) عائشة مانع عبيد العبدلي، إمارة الحج في عصر الدولة المملوكية وأثرها على الأوضاع الداخلية بمكة المكرمة 1258م-1517م، رسالة ماجستير، جامعة أم القرى، المملكة العربية السعودية، 1999، ص 61-62.

مكة المكرمة في سبعة وثلاثين يوما وسط استقبال أهالي مكة والمسلمين القادمين من مختلف الأمطار الإسلامية[1].

وكما ذكرنا سابقا فإن ركب الحج المصري يرافقه المحمل[2] الذي يخرج في موكب رسمي تحيط به الأبهة والزينة والطبول، ومنذ العصر المملوكي زاد الاهتمام بالمحمل وظهرت مظاهر احتفالية لم تكن موجودة من قبل وقد صاحب دوران أول كسوة مملوكية موجهة للكعبة مرافقة أرباب الدولة وذوي المناصب والقضاة والفقهاء ثم تطور الأمر فأصبح يوم خروج المحمل يصاحبه لعب المماليك بالرماح وألعاب الفروسية[3].

ومن اهتمامات المماليك بالحج والحجاج ما قام به السلاطين من أعمال جليلة لتوفير الأمن وحماية الحجاج من اعتداءات العربان وتوفير المياه لهم، وفي السنوات التي يخرج فيها أحد السلاطين أو الأمراء أو زوجات السلاطين فإن هذا الاهتمام يتضاعف من خلال الزيادة في توفير المياه والقوات وتكثيف الحراسة على طول الطريق، ومن أمثلة ذلك عندما حج ولد السلطان المصري الملك المجاهد أنس بن العادل كتيفا سنة 694هـ/1294م الذي صرف مالا جزيلا وسقى الحجاج طول الطريق والروايا مملوءة بالسكر وفرق من الحلوى الكثير، وفي سنة 839هـ/1435م حج الأمير سيف الدين

---

(1) حسان حلاق، مكة المكرمة من خلال رحلتي ابن جبير وابن بطوطة، ط1، دار النهضة العربية للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، 1996، ص 11.

(2) المحمل بكسر الميم الأولى وفتح الثانية، هو عبارة عن نموذج يوضع أعلى ظهر الجمل وعليه غشاء من حرير أطلس أصفر، وأعلاه قبة من فضة مطلية، أنظر: العبدلي المرجع السابق، ص 62. وعن نشأة هذا المحمل فإنه ينسب إلى هودج السلطانة شجرة الدر زوجة الملك الصالح نجم الدين أيوب وذلك عندما قامت بالحج، كما ينسب إلى السلطان المملوكي الظاهر بيبرس البندقداري الذي يعتبر أول من أدار المحمل وأرسله مع قافلة الحج المصري سنة 664هـ/1266م، يحمل الكسوة للكعبة والحجرة النبوية الشريفة، والهيئات والأعطيات التي كانت ترسل إلى الحرمين الشريفين وأهاليهما، أنظر: محمد علي فهمي بيومي، المرجع السابق، ص 269.

(3) العبدلي، المرجع السابق، ص 62.

يشبك الناصري وفعل الكثير من أعمال الخير والبر ففرق الماء على الحجاج وجعل لهم خياما يستظلون بها[1].

فخلال القرنيين 7هـ-8هـ/14م/15م تم تنفيذ العديد من مشاريع البناء الكبرى في المدينة، فعندما شب حريق في نزل للمسافرين الفقراء بالقرب من الجامع الكبير وامتد إلى الرواقين الشمالي والغربي من الجامع والذي أدى إلى انهيار 130 عمود أعاد المماليك بناء هذا الجزء من الجامع بالكامل، حتى أن الأساسات نفسها حفرت ودعمت وتكونت الأعمدة الجديدة من عدة قطع من الحجارة وصلت بعضها ببعض بقضبان من حديد وتوجت بتيجان من الرخام وقد حملت هذه الأعمدة بسقف من الخشب المطلي بألوان زاهية [2].

أما الآن فنشير إلى خروج ركب الحج المصري وعن الاحتفالات الكبيرة التي تهز المشاعر وتتحرك لها نوازع الرغبات الروحية شوقا لأداء فريضة الحج، ونظرا لكم الهائل والعدد الكبير الذي تضمه القافلة من أمير الحج وموظفيه وركبي كل من المحمل والحجاج فإنه لابد من إعداد وترتيب منظم لها يتجلى في اهتمام أمير الحاج بالركب فيجعل أوله، الجمال الحاملة للعلف ثم الأدلاء يليهم الفراشون وحاملوا الخيام ثم الطباخون والخبازون من أجل أخذ مكانهم لإعداد وجبتي الغداء والعشاء قبل نزول البقية، ثم يأتي بعدهم ذووا الطبقات العليا وعددهم يكون اقل مقارنة ببقية الحجاج المتواجدين في مؤخرة ليأتي بعدهم دور الهجن أو الإبل ثم الزردخات السلطانية[3]، والخيول وبعدها الخزائن التي بداخلها مال الصرة والأوقاف والودائع السلطانية لأهل الحرمين لأهل الحرمين ومرتبات العربان، تليهم السناجق وهي الريات الصفراء التي يحملها السنجق دار، ويليهم جماعة الهجانة[4].

---

[1] علي جلال، المرجع السابق، ص 14.

[2] ثريا فاروقي، حجاج وسلاطين الحج أيام العثمانيين، تر، أبو بكر أحمد قادر، ط1، منشورات الجمل، بغداد، بيروت، 2010، ص 55.

[3] الزردخات: هي دار السلاح وهي كلمة فارسية مركبة، تشمل على أنواع الرماح والدروع المتخذة من صفائح الحديد، أنظر: العبدلي، نفسه، ص 67.

[4] نفسه، ص ص، 66-67-68.

يتحدث تاريخ عن سلطان مملوكي كانت له لمسة بارزة في خدمة الحرمين الشريفين وهو السلطان قانصوه الغوري 906هـ-922هـ/1501م-1516م، الذي اهتم بحماية الأماكن المقدسة وإعمار المنطقة وخدمة الحجاج، فقد حرص على إنقاذ قوافل الحجاج بسلامة وعاقب المقصرين في حقها في مصر والحجاز واستمر في إرسال الكسوة والمساعدات كما أعطى لصيانة الحرمين والأعمال الإعمارية فيهما وعلى طول طرق الحج أولوية دائمة، كما بدأ بإصلاح عين عرفة سنة 912هـ/1506م، وأنشأ الخانات[1]، أما قضية توفير المياه لمكة وعرفة فقد جند لها السلطان الغوري جميع المسؤولين في الحجاز من مكيين ومصريين هذا رغم سوء الحالة المادية، وكانت أجل خدمة أسداها الغوري هي إعادة إقرار الأمن في مكة[2].

ثانيا: لعبت مصر دورا بارزا في خدمة الحرمين الشريفين منذ ظهور الإسلام، فالحجاز كان مرتبطا بمصر مباشرة بغض النظر عن الدولة الإسلامية المسيطرة عليه، وهذا راجع إلى أهمية مصر التي أصبح لها دور بارز في العهدين المملوكي والعثماني.

فمنذ أن دعى سيدنا إبراهيم عليه السلام دعوته الكريمة التي وردت في القرآن الكريم: ﴿رَّبَّنَآ إِنِّيٓ أَسۡكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِي بِوَادٖ غَيۡرِ ذِي زَرۡعٍ عِندَ بَيۡتِكَ ٱلۡمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ فَٱجۡعَلۡ أَفۡـِٔدَةٗ مِّنَ ٱلنَّاسِ تَهۡوِيٓ إِلَيۡهِمۡ وَٱرۡزُقۡهُم مِّنَ ٱلثَّمَرَٰتِ لَعَلَّهُمۡ يَشۡكُرُونَ﴾ إبراهيم:٣٧، والاهتمام بالحجاز لم ينقطع وبدخول مصر للإسلام بدأ الاهتمام الحرمين الشريفين وذلك ابتداءا من عهد أمير المؤمنين عمر ابن الخطاب رضي الله عنه، واستمر إلى غاية العصور اللاحقة [3]، وفي العصر المملوكي زاد الاهتمام بمصر على اعتبار أنها مقر حكمهم وأيضا لقيمتها التاريخية تجلى هذا الاهتمام بمصر على اعتبار أنها مقر حكمهم وأيضا لقيمتها التاريخية تجلى هذا الاهتمام في المخصصات المالية التي

---

[1] الخانات جمع خان، وهو فندق أو وكالة معدة للاستقبال التجار الأعراب الحجاج وغيرهم من المسافرين، أنظر: عبد العزيز الشناوي، الدولة العثمانية دولة إسلامية مفترى عليها، ج1، د.ط، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، مصر، 190، ص 58.

[2] كشميري، نفسه، ص ص، 37-38-39.

[3] بيومي، المرجع السابق، ص 02.

كانت ترسل مع قافلة الحج المصري لصيانة وتجميل الحرمين الشريفين وإدارتهما، وما يذهب في صورة رواتب للأهالي والمجاورين للحرمين، وغير ذلك من كسوة الكعبة والحجرة النبوية المشرفتين [1].

اعتبرت مصر مهمة بالنسبة إلى الحجاز في العهد المملوكي بسبب المساعدات المالية التي تقدمها من جهة وأيضا بسبب المحمل الذي يجرح منها متوجها نحو مكة المكرمة من جهة أخرى ويذكر لنا ابن بطوطة في رحلته فيقول "يوم دوران المحمل يوم مشهود وكيفية ترتيبهم فيه أنه يركب قضاة الأربعة ووكيل بيت المال والمحتسب، وقد ذكرنا جميعهم ويركب معهم أعلام الفقهاء وأمناء الرؤساء وأرباب الدولة ويقصدون باب القلعة: دار الناصر فيخرج إليهم المحمل على جمل وأمامه الأمير المعين للسفر في الحجاز في تلك السنة، ومعه عسكره والسقاؤون على جمالهم ويجتمع لذلك أضاف الناس من رجال ونساء، ثم يطوفون بالمحصل وجميع من ذكرنا معه لمدينتي القاهرة ومصر، ويكون ذلك في رجب فعند ذلك تهيج العزمات وتنبعث الأشواق وتتحرك البواعث ويلقي الله تعالى العزيمة على الحج في قلب من يشاء من عباده، فيأخذون في التأهب لذلك[2].

أ. الأوقاف المخصصة للحج في العهد المملوكي:

إضافة إلى هذا فإن الأوقاف التي وقفت في العصر المملوكي الذي يعتبر العصر الذهبي للأوقاف الخيرية بمصر، كانت كثيرة خاصة تلك الموجهة إلى الحرمين الشريفين من أهم هذه الأوقاف:

وقف "السلطان برسباي" (**825هـ-841هـ/1421م-1437م**) الذي أوقفه على أغوات الحرم المكي حتى يتمكنوا من أداء مهامهم بالحفاظ على البيت الحرام من حراسة أو تنظيم[3].

وقف الدشيشة الكبرى[4]: هي أكبر الأوقاف المخصصة لأهالي الحرمين الشريفين من خزينة مصر، تكون في صورة أموال وغلال، وحينما تولى السلطان قيتباي المحمودي 873هـ874هـ/1468م-1469م أضاف مجموعة من القرى والوكالات ليصرف من ريعها في شراء قمح الدشيشة لفقراء الحجاز، وبعد السلطان قيتباي المحمودي ظل يضاف إليه أعطيت جديدة من السلاطين اللاحقين،

---

[1] علي جلال، المرجع السابق، ص 14.

[2] شمس الدين أبي عبد الله محمد بن عبد الله اللوائي الطنجي، رحلة ابن بطوطة، تحفة الناظر في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار، تق، عبد اله الهادي التازي، مج 01، د.ط، مطبوعات أكاديمية المملكة المغربية، المغرب، 1997، ص 221.

[3] بيومي، المرجع السابق، ص 52.

[4] الدشيشة الحنطة المنظمة وهي عبارة عن صدقات كانت ترسل إلى مكة المكرمة من مصر سنويا، أنظر: إسماعيل حقي جارشيلي، المرجع السابق، ص 40.

فكان كلما تولى أحد السلاطين المماليك أو العثمانيين فإنه يضيف إلى هذا الوقف بعض الأوقاف المتنوعة من أراضي وهبات، منها ما أوقفته السلطانة خوند زوجة الملك الأشرف[1] الظاهر سيف الدين برقوق 778هـ/1285م.

- **وقف الحرمين الشريفين:** أنشأه أحد السلاطين المماليك وتقول د.هلين آن ريفين أن وقف الحرمين الشريفين لم يكن وقفا بل عدة أوقاف، وعليه فهو عدة أوقاف متناثر للمماليك والأعيان والأثرياء.

ب.أهمية مصر في العهدين المملوكي والعثماني[2]:

هذه الأوقاف وغيرها من المساعدات الموجهة إلى أهالي الحرمين الشريفين كانت مأخوذة من خزينة مصر، وازدادت أهمية هذه الأخيرة كون جزء ضخم من مصروفاتها كان موجها للحرمين الشريفين في العهد العثماني، إذ كانت مصر تحرص سنويا على إرسال إعتمادات مالية للحجاز، ويبرز هذا الحرص فيما قرره السلطان سليم الأول من زيادة هذه الإعتمادات المخصصة[3] للحجاز وكان يشار إلى مبلغ المالي الذي يرسل إلى الحجاز من خزينة مصر باسم "صرة أهالي الحرمين الشريفين" [4]، ففي عهد السلطان سليم الأول صرف باقي واردات مصر التي كانت من المفروض أن ترفع إلى الدولة صرفها على الحرمين واستمر في إرسال وصرف المبلغ الذي كان يبعث به السلاطين الذين سبقوه إلى الحرمين الشريفين على امتداد حكمهم إليها ولكن قرر إخراجها من مصر ليس من إسطنبول [5]، وقد بلغت هذه الصرة في النصف الأول من القرن 16م مبلغ 32 كيس 800.000 بارة، أما المخصصات العينية ومنها إخراجات الحرمين الشريفين والمقصود بها المبالغ المالية المرسلة

---

[1] بيومي، المرجع السابق، ص 55.

[2] نفسه، ص 66-67.

[3] تتكون هذه الإعتمادات أساسا من حصيلة الأراضي الزراعية وغيرها من العقارات الثابتة التي أوقفها أهل البذل من المسلمين في مصر زلفى إلى الله لتصرف على أهل الحرمين في مكة والمدينة وعلى الأشراف وغيرهم من سكان المدن الحجازية وإلى جانب الأموال كميات من القمح والذرة والأرزن أنظر: الشناوي، المرجع السابق، ص 65.

[4] سميرة فهمي علي عمر، إمارة الحج في مصر العثمانية 1517-1798، د.ط، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، 2001، ص 327.

[5] كشميري، المرجع السابق، ص 269.

سنويا لشراء ونقل المواد مثل الغلال، شمع النحل، الزيت، القناديل كما خصصت منها نفقات بعض الموظفين المشرفين على قافلة الحج [1].

لقد كانت الإيرادات المخصصة للحرمين الشريفين من خزينة مصر تسمى الخزينة الإرسالية[2] أو صرة أهالي الحرمين أو الصرة الشريفة الميري الإرسالية إلى أهالي الحرمين، إضافة إلى هذا فإن مصر كانت تزود الحجاز بالحبوب بسبب النقل المائي الذي كان متوفرا في معظم الأحيان فقد كان يجري نقل كميات كبيرة من المؤن الرئيسية بحرا [3].

أما عن بقية إخراجات الحرمين الشريفين من خزينة مصر فكانت كالآتي:

- أجرة الجمال لنقل الزيت من القاهرة إلى السويس 8972 بارة في العام.
- أجرة الجمال لحمل الحصير من بولاق إلى السويس 1080 بارة.
- ثمن قناديل إرسالية الحرمين الشريفين 9290 بارة كل عام.
- ثمن الأخشاب لعمل صناديق الصرة وقناديل الحرمين 165 بارة.
- ثمن الصناديق لذخيرة أمير الحج 1475 بارة
- إخراجات الكسوة الشريفة والمقصود بها الإيرادات التي خصصت من مصر لصنع الكسوة الشريفة ومتعلقاتها، وكان المصدر الأول لهذه الإيرادات الأوقاف التي أوقفها السلاطين المماليك والعثمانيون من بعدهم، فقد أوقف السلاطين المماليك من أجل الصرف على الكسوة ثلاث قرى من قرى محافظة القليوبية بمصر.

---

[1] علي عمر، إمارة الحج في العهد العثماني، المرجع السابق، ص 327-330.

[2] الخزينة الإرسالية هي فائض وإرادات مصر على مصر وفاتها وكانت من المفروض سنويا إرسالها من مصر إلى اسطنبول، ويشار إليها باسم "الخزينة الإرسالية إلى الأبواب الشريفة الخنكارية، أنظر: الشيخ أحمد الرشيدي، حسن الصفا والابتهاج بذكر من ولي إمارة الحاج، تحقيق د.ليلى عبد اللطيف أحمد مكتبة الخنابجي، مصر، 1980، ص 22.

[3] فاروقي، المرجع السابق، 19.

- تعينات أشراف الحرمين وهي المبالغ المخصصة من خزينة مصر لأشراف الحرمين هذا بالإضافة إلى 63.800 بارة كانت مخصصة لشحن الجرايات المشتراة من دخل ربح وقف المحمدية[1] أحد أوقاف الرئيسية بمصر إضافة إلى هذا مصروفات إصلاح وتعطير الحرمين الشريفين التي كانت من خزينة مصر[2].

بلغت الإعانات المرسلة إلى مكة المكرمة والمدينة المنورة المقتطعة من العائدات المصرية الرسمية على أقل تقدير 692.903 بارة أو 297.22 قطعة ذهبية، ولا يشمل هذا المبلغ الصرة المخصصة للبدو، والتي كانت موجهة لخدمة المدن المقدسة والتي أسسها المماليك فقد حافظ عليها سليم الأول عند فتحه مصر سنة 923هـ/1517م، وأعاد تنظيمها وتصنيفها تحت عنوان عام هو "مؤسسة الدشيشة الكبرى" والتي يشكل مركزها مؤسسات السلطانين قايتباري وجقمق ووسعها سليمان القانوني وخليفة سليم الثاني بالزيادات التي أدخلوها عليها[3].

أما فيما يخص أهمية الحجاز فقد ظلت هذه الأخيرة بما حوله من أماكن مقدسة ممثلة بالكعبة المشرفة ومقام سيدنا إبراهيم والمدينة المنورة تحظى باهتمام المسلمين سواءا حكام أو ملوك منذ القدم، فقد سعى كل الحكام المسلمين إلى ضم هذه المنطقة وخدماتها لها من حرمة وقدسية، وذلك أن خدمة الحرمين الشريفين شرف يطمح كل الحكام في الظفر به وذلك من خلال إبقاء العلاقة المعنوية متينة مع الحجاز وأشرافها، لأن أي قطع لتلك العلاقة أو استعمال نوع من القوة في التعامل مع أشرافها، سيقطع تلك الرابطة المعنوية بينهم.

بدأت حياة الشرافة في مكة المكرمة باتخاذ الأشراف امتيازاتهم وقداستهم من انتمائهم الهاشمي، وغدا منصب الشريف الأكبر يكتسب في الوقت عينه لقب أمير مكة، الذي حظي بمكانة

---

(1) الوقف المحمدي هو وقف أوقفه السلطان أحمد الأول 1012هـ-1026هـ/1603م-1617م، من أرض مصر خصصها للإنفاق على أهل الحرمين ويصل إيراد هذا المبلغ إلى 6028 بارة، أنظر: الرشيدي، المصدر السابق، ص 19.

(2) علي عمر، المرجع السابق، ص ص 332-333-334-335.

(3) فاروقي، نفسه، ص ص 133-134-135.

مرموقة في المجتمع العربي المحلي والإسلامي باعتبارهم ينتسبون إلى الرسول عليه الصلاة والسلام[1]، ومنذ أواخر القرن 6هـ أي 597هـ/ القرن 13م 1200م انتقلت إمارة مكة من عائلة بني هاشم المسماة بني فليطة التي يعود نسبها إلى الحسن علي بن أبي طالب رضي الله عنه، إلى أمير ينبع أبو عزيز قتادة بن إدريس المنحدر من الحسن بن علي أيضا. وقد استمر بناء قتادة وأحفاده في إمارة أو شرافة مكة استرداد آل سعود الحجاز سنة 1343هـ/1924م، لم يكن أشراف مكة مستقلين تماما بل كانوا تحت نفوذ الدول الحاكمة في مصر وكانوا يذكرون أسماء حكام تلك في الخطبة [2].

فخلال إمارة قتادة بن إدريس أصبح الأيوبيون حكام مصر وسوريا واليمن وقد اعترفوا بالإدارة الشريفة في مكة والمدينة، وقد اعترفت دولة المماليك التي أعقبت الدولة الأيوبية بذلك في فترة حكم ركن الدين الظاهر بيبرس الذي أدرك أن ضم هذه المنطقة سوف يقوي مكانته في العالم الإسلامي، ويضفي على حكمه هيبة بين المسلمين[3].

وعند أفول نجم المماليك بمصر وظهور العثمانيين كقوة جديدة مسيطرة على مسرح الأحداث السياسية للعالم الإسلامي، برزت الحاجة الملحة من طرق العثمانيين الذين رأوا أن من واجبهم لاعتبارات دينية، سياسية واقتصادية ضم منطقة الحجاز من أجل تقوية مركزهم الديني في العالم الإسلامي.

بدأ اهتمام العثمانيين بالحجاز عامة ومكة المكرمة والمدينة المنورة خاصة منذ عهد السلطان بايزيد الأول (792هـ-805هـ/1389م-1402) كما ذكرنا سابقا المبحث التمهيدي واستمر إلى غاية اعتلاء السلطان سليم الأول (918هـ-927هـ/1512م-1520م).

---

[1] سيار الجميل، تكوين العرب الحديث، ط1، دار الشروق للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، 1997، ص 144.

[2] إسماعيل حقي جارشيلي، المرجع السابق، ص 43-44.

[3] طقوش، تاريخ المماليك، المرجع السابق، ص 107.

2. الحجاز في عهد السلطان سليم الأول 923هـ/1517م

اهتم السلطان سليم الأول بشؤون حدود دولته الشرقية التي كانت تواجه احتمال الغزو وبعد تولي الصفويين[1] حكم فارس، هذا بعد أن أمن حدود دولته من ناحية أوروبا بتجديد الاتفاقيات المعقودة مع البندقية والمجر بوجه خاص، ثم ولى شطره نحو الشرق لمواجهة إسماعيل الصفوى[2]، فقضى عليه في معركة تشالديران في رجب 920هـ/آب أغسطس 1514م، ودخل عاصمة تبريز وحقق من خلالها انتصارا كبيرا ضم من خلاله منطقة الأناضول الشرقية[3].

وبعد أن انتهى سليم الأول من مواجهة الخطر الصفوي، وجه أنظاره إلى المماليك حتى يوسع نفوذه على حساب الأراضي المملوكية وفي المقابل كان السلطان الغوري[4] يدرك تماما أن المنتصر من الجانبين معركة تشاليران سيعمل على تصفية الموقف في المشرق العربي، ولكنه لم يبادر بفعل أي شيء ينقذ الموقف، ورغم أن السلطان سليم الأول أرسل بعثة عثمانية وصلت في شهر ربيع الآخر عام 920هـ/1514م إلى القاهرة حاملة معها اقتراحات بعقد تحالف بين العثمانيين والمماليك لمحاربة الصفويين لكنه رفض الاقتراح[5]، الأمر الذي جعل سليم الأول يعتبر أن العمل يحمل له العداوة فطلب من شيخ الإسلام إصدار فتوى تبيح له قتال المماليك خاصة وأن الغوري كان سني، فأصدر فتوى تبيح له قتالهم فوقع صدام بين المماليك والعثمانيين عرفت بمعركة مرج دابق، وعن هذه المعركة

---

(1) ينتسب الصفويين إلى الشيخ إسحاق صفي الدين المتوفي سنة 734هـ/1334م وهو تركي سني، وشيخ طريقة صوفية انتقل إلى شمالي إيران، ومن هذا الاسم صفي الدين أخذت السلالة اسمها، اعتنق أحد أحفاده وهو الجنيد 851هـ-1447/864-1460م المذهب الشيعي الاثني عشري توالت الأحداث حتى تولى رئاسة الأسرة إسماعيل ابن الشيخ حيدر عام 899هـ/1494م وهو مؤسس الدولة الصفوية وهو الذي أعلن أن المذهب الشيعي هو المذهب الرسمي لإيران، أنظر: طقوس، تاريخ العثمانيين...، المرجع السابق، ص 152-153.

(2) عبد الرحيم، أصول التاريخ...، المرجع السابق، ص 76، ص 97.

(3) تيسير جبارة، المرجع السابق، ص 104-105.

(4) هو الملك الأشراف أبو النصر قانصوه بن بيبردى الغوري الأشرفي، وهو السادس والأربعون من ملوك الترك وأولادهم بالديار المصرية، تولي الحكم 907هـ/1502هـ، انتهى حكمه سنة 922هـ/1516 بعد انتحاره، أنظر: ابن إياس، المجلد 2، ص 684.

(5) طقوس، تاريخ المماليك، المرجع السابق، ص 496.

يخبرنا المؤرخ المعاصر إبن زنبل الرمال أن خروج الملك الأشرف قانصوه الغوري من مصر لملاقاة سليم الأول كان يوم السبت 16 ربيع الأخر 921هـ/1515 فلما وصل إلى غزة أقام بها 3 أيام، ثم أمر بالرحيل بالجيوش والعساكر، التقي الجمعان في مرج دابق وباتوا تلك الليلة غير حرب ولكن لم يهنأ لأحدهم منهم النوم.

أما الحرب فقد بدأت يوم الأحد 23 من رجب سنة 921 هـ، كانت الغلبة فيها للعثمانيين، قتل فيها المماليك وظل السلطان الغوري انكسر قهرا ووقع على الأرض مغشيا عليه، وضع رأسه من طرف أحد المماليك العبيد الذين كانوا في خدمته[1]، بعد هذه الهزيمة التي تلقاها المماليك، ملك السلطان سليم الأول مدينة حلب وقلعتها من غير محاصرة ثم توجه إلى الشام فملكها بالأمان، ثم خرج من الشام وقصد التوجه نحو الديار المصرية فتسلم طرابلس الشام وصف وغزة وبيت المقدس ونابلس وعدة بلاد من تلك الجهات تسليم الكل بالأمان من غير حرب ولا مانع، ثم توجه إلى القاهرة فتلاقى مع الأشرف طومان باي على الريدانية فوقع بينهما قتال هين وانكسر المملك الأشرف طومان باي[2] على الريدانية فوقع بينهما قتال هين وانكسر الملك الأشرف طومان باي وولى مهزوما وقتل من العسكر مالا يحصى عددهم، فكانت بذلك نهاية المماليك [3].

عندما انتصر السلطان الأول في موقعه مرج دابق أخذ الخليفة المتوكل على الله محمد بن المستمسك بالله، الذي كان في صفوف جيش السلطان الغوري وفي أول صلاة جمعة صلاها سليم في الجامع بحلب عد خليفة وخطب له باعتباره خليفة المسلمين، وسكت العملة باسمه.

---

[1] ابن زنبيل الرمال، آخرة المماليك أو واقعة السلطان الغوري مع سليم العثماني تح، عبد المنعم عامر، تقديم، عبد الرحمان الشيخ، ط2، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، 1998، ص ص 77-81-82-98-103.

[2] هو أبو النصر طومان باي الملك السابع والأربعون من ملوك الترك في مصر، آخر ملوك المماليك بمصر تولى الحكم 922هـ/1516م سقط عند الحكم بعد مدة وجيزة سنة 923هـ/1517م، على يد سليم الأول، أنظر: ابن إياس، المصدر السابق، مج، 3، ص 1049.

[3] نفسه، مج، 3، ص 1081.

- **مسألة الخلافة:**

إحدى الروايات التاريخية تقول أن الخليفة العباسي هو الذي تنازل عن الخلافة لبني عثمان في مراسيم أجريت آيا صوفيا بعد عودة السلطان سليم إلى إسطنبول، ويقول البعض الأخر أن الخليفة المتوكل قلّ السلطان سليم السيف وألبسه الخلعة في جامع أبي أيوب الأنصاري وأنه إشتراك في هذه المراسيم علماء الأزهر الذين سافروا إلى إسطنبول وعلماء الدولة العثمانية، وأن الخلافة انتقلت إلى بني عثمان بقرار هذا المجلس [1]، غير أن المؤرخ المصري ابن إياس المعاصر لضم العثمانيين لمصر لم يتطرق إليها، كما أن الرسائل التي أرسلها سليم إلى ابنه سليمان القانوني لم ترد فيها أيه إشارة لتنازل الخليفة العباسي عن لقبه للسلطان إن الواقع التاريخي يقول بأن السلطان سليم الأول أطلق على نفسه لقب خليفة الله في طول الأرض وعرضها منذ عام 1514م، أي قبل فتحه للشام ومصر وإعلان الحجاز خضوعه لآل عثمان، فالسلاطين العثمانيين كانوا قد اكتسبوا مكانة عظيمة تلائم استعمال لقب الخلافة في الوقت الذي كان قد اكتسبوا مكانة عظيمة تلائم استعمال لقب الخلافة في الوقت الذي كان فيه مركز الخليفة في القاهرة لا يُعتد به، كما أن سليم بفتحه للحرمين الشريفين أصبح مقصد المستضعفين المسلمين الذين يتطلعون إلى مساعدته يعد أن هاجم البرتغاليون الموانئ الإسلامية[2].

عاش الخليفة العباسي في العاصمة الدولة العثمانية وفي عهد السلطان سليمان القانوني عاد إلى القاهرة إلى غاية وفاته سنة 945هـ/1537م وبذلك طويت صفحة المماليك نهائيا وانتقلت من مسرح التاريخ إلى كتبه، وحلت محلها الدولة العثمانية.

---

[1] عبد الباري محمد الظاهر، دولة الخلافة العثمانية قراءة في نشأتها ومظاهر حضارتها وعوامل سقوطها، زرقاء اليمامة، الفيوم، مصر، ص 104-105.

[2] محمد علي محمد الصلابي، الدولة العثمانية عوامل النهوض وأسباب السقوط، ط1، د.ت.ن، ص 320-321.

وفي الوقت الذي كان فيه السلطان سليم الأول بمصر استقبل وفدا من أعيان الحجاز بعث به الشريف بركات[1] أمير مكة المكرمة، وكان على رأس هذا الوفد ابنه أبو نمي وحمل معه رسالة من والده أعلن فيها الشريف بركات قبوله دخول الحجاز تحت السيادة العثمانية، وأرسل مع ابنه أبو نمي[2] مفاتيح الكعبة الشريفة وبعض آثار الرسول إلى الدولة العثمانية، ونهج على النهج الأمراء المماليك الذين يختلفون وكذلك بعض مناطق اليمن وعلى هذا النحو دخلت في سنة واحدة 1516م-1517م أربعة أقاليم إسلامية عربية هامة تحت النفوذ العثمانية وهي الشام-مصر-الحجاز وأجزاء من اليمن فأصبح البحر الأحمر بذلك بحيرة عثمانية تقريبا[3].

قام أيضا بتسليمه للأمانات المقدسة المتمثلة في:

- البردة النبوية الشريفة (خرقة سعادت).
- نعلا النبي عليه الصلاة والسلام ومقبض سيفه وسهمه.
- يبرق السعادة النبوي ومحفظته وسجادته صل الله عليه وسلم.
- مرجل سيدنا إبراهيم عليه السلام وغطاء فضي لمقامه.
- قدر سيدنا نوح عليه السلام، سيف سيدنا داود عليه السلام، قميص سيدنا يوسف عليه السلام، عصانا سيدنا شعيب عليه السلام.
- سجادة أبي بكر الصديق رضي الله عنه وغمامات الصحابة رضوان الله عليهم ومسابحهم.
- نسخة من القرآن الكريم بخط يد الصحابي الجليل علي بن أبي طالب رضي الله عنه.

---

[1] أبو البركات: هو بركات بن محمد بن بركات الثاني، خلف والده في شرافة مكة عام 903هـ/1407م وبقي حتى وفاته عام 932هـ/1525م، أنظر: آمال رمضان عبد الحميد صديق، الحياة العلمية في مكة 1703-1916، ج1، أطروحة دكتوراه، جامعة أم القرى، المملكة العربية السعودية، 2006، ص 33.

[2] كان صبيا صغير لا يتجاوز 12 سنة وكان معه عرار بن عجل سفير بركات للمماليك سابقا، وبصحبتهما ممثلوا الحكومة المملوكية في مكة، وهم بيبردي بن كسباي باش مكة أو قائد الجند فيها وقراكز المحتسب وقائد فرقة المدينة المنورة، وصل الشريف أبو نمي إلى مصر يوم 15 و16 من جمادى الآخرة سنة 923هـ/1517م، أنظر: كشمري، المرجع السابق، ص 56.

[3] الشناوي، المرجع السابق، ص 60.

- سنة النبي صلى الله عليه وسلم (عبارة عن جزء من إحدى أسنانه كسرت أثناء معركة بدر وشعره من لحيته المباركة، ختمه صلى الله عليه وسلم وتراب من قبره الشريف).
- ولا تزال هذه الأمانات محفوظة إلى اليوم بنجاح الأمانات المقدسة (أمانة مقدسة دائرة سي) بإسطنبول[1].

أما بالنسبة إلى سياسة سليم الأول في تعامله مع الحجاز فقد أبقى شريف مكة حاكما لها مع إنشاء سنجقية عثمانية بجدة، سار حكم الأشراف لمكة جنبا إلى جنب مع السلطة الروحية، فقد اعتمد العثمانيون عليهم ولاسيما في بداية القرن 10هـ/16م، إذ استطاع العثمانيون أن يوظفوا هذا النظام العربي القديم لصالحهم وفي أهم بقعة إسلامية، وظلت العلاقة بين الأشراف والعثمانيون ثابتة في تحالفها مادام الأشراف لم يثيروا أية حقوق سلوطية عربية لهم بمقتضى النظرة الشرعية القديمة للسلطان في الإسلام [2].

تمثلت مهمة سنجقية جدة في مراقبة إمارة مكة المكرمة القائمة على مبدأ توازن القوى الذي عمل به العثمانيون في إدارتهم لكثير من المناطق التي حكموها، إضافة إلى دورها في حفظ ميناء جدة وحمايته، كما أوكل سليم الأول أمر مكة إلى الشريف بركات في المرسوم الذي بعث به إليه مع ابنه أبو نمي، وأطلق سلطته فيها، بل إنه أوكل إليه مهام تتعدى حدود إمارة مكة والحجاز كله تمثلت في فرض السلطة العثمانية في اليمن والهند حيث المجابهة البرتغالية، عين سليم الأول الوزير الأعظم يونس باشا لإدارة مصر والحجاز منذ جمادى الأخرة 923هـ/1517م ولكنه عزل بعد مدة قصيرة وعين مكانة خايربك الذي قام بعدة أعمال ستذكرها لاحقا[3].

إن الحكم العثمانيون بمصر كان حكما يكاد يكون سطحيا بمعنى أن المهم من هذا الأمر هو جباية الضرائب وإعلان الولاء للسلطان العثماني، ولعل هذا كان بسبب اعتبار مصر جسر عبور

---

[1] متولي، الفتح العثماني للشام، المرجع السابق، ص 229-230.
[2] الجميل، المرجع السابق، ص 146-147.
[3] كشميري، المرجع السابق، ص 58-59.

للحجاز حيث مكة المكرمة والمدينة المنورة وحيث حكم الأشراف، ومن ثمة الهيمنة الإسلامية باسم الخلافة[1]، فالحجاز كان يتبع مصر تبعية تلقائية بمعنى أنه لم يكن مرتبطا بدولة معينة في مصر بل بمصر ذاتها، كما أن حكم العثمانيين للحجاز سار جنبا إلى جنب مع الأشراف الذين خلقوا قبول شعبي للعثمانيين مكنهم من بسط نفوذهم بيسر في الحجاز هذا من جهة، من جهة أخرى فإن الأشراف كانت لهم أهداف يسعون إلى بلوغها لذلك رحبوا بالعثمانيين، تمثلت أهدافهم في ثلاث نقاط أساسية هي الرغبة في الحصول على تأييد ومساندة دولة إسلامية كبيرة كالدولة العثمانية لمواجهة الخطر البرتغالي في البحر الأحمر.

ومن أجل الاستفادة من العون المالي الذي تمد به مصر أهل الحجاز، إضافة إلى تقوية مركز الشريف بركات أما منافسيه وخصومه خاصة أسر الأشراف [2]، ومنذ سنة 923هـ/1517م بدأ مبعوثو السلطان يزورون مكة كل عام حيث يقومون بتوزيع الهدايا والأموال، أما فيما يخص البناء الداخلي والإدارة فلم يتعرضا لأي تغيرات جوهرية واكتفى العثمانيون بحراسة الشواطئ وحماية الحجاج وقوافل المؤن والمرء الغذائية المرسلة إلى مدن المقدسة، كما تولت مراقبة أموال المساجد في مكة باهتمام بالغ، أما الإشراف على البلاد فقد كلف به والي مصر الذي أنيطت به مسؤولية الدفاع عن الحجاز لأنها ضمن دائرة اختصاصية.

وهكذا فإن سياسة سليم الأول كانت حذرة في التعامل مع الأشراف الهاشميين فكانوا لا يتدخلون في شؤونهم خاصة مسألة وراثية العرش، فتركوا حرية اختيار الشريف[3].

---

[1] أحمد بن زيني دحلان، تاريخ أشراف الحجاز، خلاصة الكلام في بيان أمراء البلد الحرام، 1840-1883، تح، محمد أمين توفيق، ط1، دار السياقي، بيروت، لبنان، 1993، ص 15-16.

[2] إسماعيل احمد ياغي، العالم العربي في التاريخ الحديث، ط1، مكتبة العبيكان، الرياض، المملكة العربية السعودية، 1997، ص 43.

[3] نيكولاي إيفانوف، الفتح العثماني لأقطار العربية 1516م-1574م، تع، يوسف عطا الله، تقديم سعود الظاهر، ط1ن دار الغربي، بيروت، لبنان، 1988، ص 74.

عندما فتح سليم الأول مصر سنة 923هـ/1517م، خطب له على المبادرة لهذه الكلمات: "اللهم أنصر السلطان ملك البرين والبحرين، وكاسر الجيشين، وسلطان العراقيين، وخادم الحرمين الشريفين، الملك المظفر سليم شاه، اللهم انصره نصرا عزيزا، وأفتح له فتحا مبينا، ياملك الدنيا والآخرة يارب العالمين" ومنذ ذلك الحين حرص على تأكيد اهتمامه بشؤون الحرمين، وبالرغم من أن أحداث الفتح قد أدت إلى تعطيل خروج قافلة الحج من مصر إلى الشام عام 922هـ/1516م فقد حرص السلطان سليم على إرسال كسوة الكعبة الشريفة مصحوبة بالصدقات التي كانت ترسل من قبل الأهالي لمكة والمدينة المنورة، كما اهتم كذلك بإخراج قافلة الحج من مصر في هذا العام 923هـ/1517م وأعطى تعليمات لخاير بك[1] حاكم مصر من أجل توفير راحة الحجيج وإعداد بعثة تحمل المؤونة والملابس والمشروبات تلاقي الحجيج في طريق عودتهم بعد أداء فريضة الحج تقابلهم تلك البعثة في العقبة والأزلم[2]، وفيما يخص الصرة المرسلة لأهالي الحرمين الشريفين فقد ضبطها عن طريق الدفاتر التي وجدت في الخزينة والتي كان مدونها أسماء الأشخاص الذين كانوا يحصلون على هذا المبلغ سنويا كما أبقى كذلك على الأوقاف المملوكية[3]، وقد عنى خاير بك بإخراج قافلة الحج المصري في أحسن وأكمل وجه، ونرى ذلك واضحا في الوصف الذي قدمه ابن إياس قائلا "في يوم الإثنين السابع عشر من شوال خرج المحمل الشريف من القاهرة في موكب حافل وكان أمير الركب في تلك السنة القاضي علاء الدين بن الإمام ناظر الخاص.

---

[1] هو خاير بك من إنيال أي أن إنيال هو من اشتراه، تولى كشف الغربية، فأصبح المشرق الفني والمالي على المقاطعة الغربية لمصر، كان برتبة أمير مائة، ثم أنعم عليه برتبة مقدم ألف بعد انتصاراته في الحجاز، توفي سنة 922هـ/1516م، أنظر: كشميري، المرجع السابق، ص 29.

[2] العقبة محطة هامة من محطات الحج المصري وتقع على خليج العقبة، والأزلم إحدى محطات الحج المصري وتقع جنوب العقبة، أنظر: الرشيدي، المصدر السابق، ص 14.

[3] نفسه، ص 13-14.

وقد خرج الحاج في هذه السنة ركبا واحدا الأول والمحمل معا، وكان الحاج في هذه السنة قليلا جدا خوفا من فساد العربان في الطريق، وقد جدد ابن عثمان كسوة المحمل في هذه السنة، فضع له كسوة فاخرة كلها زركش وكتب عليها اسمه".

كما عنى سليم كذلك برفع الإعتمادات المماليك المخصصة للحجاز كما أمر[1] بأن تتحمل الحكومة المصرية وإلى جانب إعفاء الحجاز كولاية عثمانية من دفع الجزية للدولة أي الإعفاء الضريبي من معظم الضرائب الشخصية والعقارية سوى ضرائب على أصحاب الأغنام والجمال، كما تمتع سكان الحجاز أيضا بالإعفاء من التجنيد أو الخدمة العسكرية[2]، مكة يستعينون بها في أيام الحج للوصول إلى مكة قادمين من المدينة المنورة، كما يخص بعض العلماء والصلحاء والمشايخ بكسوة من الأصواف الخاصة[3].

هذا بالنسبة للحجاز في عهد السلطان سليم الأول الذي قام بعدة أعمال جليلة لخدمة الحرمين الشريفين والتنظيم الإدارة والحكم، غير أن الاهتمام تضاعف في عهد السلطان سليمان القانوني[4]، الذي يعتبر من أقوى السلاطين العثمانيين الذي عرفت الدولة العثمانية في عهده أبهى عصورها وبلغت أوج قوتها، خاصة التشريعات والنظم التي سنت في عهده والتي مست العدالة وجوانب أخرى مع مراعاة الظروف الخاصة بكل منطقة وعلى رأسها مكة المكرمة.

---

[1] ابن إياس، المصدر السابق، المجلد 3، ص 1118.

[2] الشناوي، المرجع السابق، ص 65.

[3] عمر سالم بابكور، حزام الأمن العثماني حول الحرمين الشريفين في القرن العاشر الهجري، مذكرة لنيل درجة الماجستير، جامعة أم القرى، المملكة العربية السعودية، 1986، ص 19.

[4] سليمان الأول 1520-1566 ابن السلطان سليم الأول، في عهده بلغت الإمبراطورية أو.ج قوتها وعرفت نهضة مرموقة في حقول التشريع والأدب وعمارة، فتح بلغراد 1521م، رودس 1522م، هزم القوات المجرية في معركة موهاج 1526م وحاصر فيها عام 1529م، أنظر: منير البعلبكي، معجم أعلام المورد، ط1، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، 1992، ص 242.

3. سليمان القانوني والحجاز 1520م-1566م.

بدأت العلاقات بين شريف مكة الشريف بركات والسلطان سليمان القانوني، عندما تلقى الشريف خطابا رسميا من سليمان عن طريق أمير أمراء مصر خاير بك، بعد حج 926هـ/1519م بلغه فيها توليه الحكم، وقد كانت سياسة الشريف تتمثل في تجنب الدخول في صدام مع ممثلي السلطة العثمانية في الحجاز لهذا أرسل كتابا هنئ فيه السلطان بفتح رودس 929هـ/1522م ثم بنجاحه في القضاء على حركة جان بردي الغزالي[1] الانفصالية في الشام 927هـ/1520م [2].

أهم ما قام به السلطان سليمان القانوني لخدمة الحرمين هي زيادة مقدار الصرة[3] المرسلة من مصر إلى أهالي الحرمين، كما قام بإصلاح عين حنين وعين عرفات وعين لها ناظرا، فقد توجه ناظر العين إلى الباب العالي وعرض عليهم أمر أحوالا يجب عرضها وأجيب إلى كل ما سأل بشأن إصلاحها وقد استقر الحال على أن أقوى العيون عين عرفة وأن تصليحها يحتاج إلى كشف وحفر وتنظيف وصرف نحو ذلك ثلاثين ألف دينار ذهب، وأيضا عرض على الباب العالي أنه من المناسب لشأن الشريف أن تعمل أربع مدارس على المذاهب الأربعة يدرس فيها علماء مكة فوافق على ذلك السلطان سليمان القانوني وعين لخدمتها الأمير قاسم أمير جدة وتم بناء هذه المدارس في الجزء الجنوبي من المسجد الحرام، إضافة إلى هذا قام بتصليح أربطة كانت بالمدينة المنورة، وأيضا عمر مطبخ الدشيشة الموجود داخل المدينة المنورة المعروف بدشيشة الرسول عليه الصلاة والسلام[4].

---

[1] جان باردي الغزالي أسير سلافي خطي بنفوذ واسع في عهد طومان باي حاكم ولاية دمشق إبان الفتح العثماني، قاد حركة تمرد ضد الحكم العثماني إلا أنها جاءت بالفشل وأعدم على إثرها عام 1521م، أنظر: فريدون أبجان، سليمان القانوني سلطان البرين والبحرين تر، د.جمال فاروق، أحمد كمال، ط1، دار النيل للطباعة والنشر، القاهرة، مصر، 2014، ص 31.

[2] كشميري، المرجع السابق، ص 73-74.

[3] الصرة في زمن سليمان القانوني تضاعفت فصار يرسل كل عام نحو ثمانية عشر ألف قطعة ذهبية إضافة إلى صدقة الحب فأفرد لها السلطان سليمان قرى لمصر إشتراها ووقفها وجعل غلتها لأهالي الحرمين، أنظر: بابكور، المرجع السابق، ص 21.

[4] بابكور، نفسه، ص 22.

استمرت علاقة الشريف بركات بالعثمانيين في عهد سليمان القانوني واتصفت بالقوة، كما مال في تعامله مع الموظفين العثمانيين في الحجاز بالهدوء والودية، وتميز الجانب القضائي في هذه الفترة في مكة باستمرار خضوعه لتأثير بنود بركات بقدر كبير، كما تصدى السلطان سليمان للخطر البرتغالي الذي كان يتربص بشبه الجزيرة العربية، وأوكل مهمة الدفاع عن الجبهة الجنوبية للدولة إلى أمير أمراء مصر بالتعاون شريف مكة وبذلك مثل الحجاز في عهده خط الدفاع الأول عن المقدسات [1].

ونظرا لأهمية موقع السويس من مصر بالنسبة لحدودها الشرقية وكونها معبرا للحجاج في طريقهم للأراضي المقدسة أقام بها السلطان سليمان قلعة مسلحة اختصت بحراسة حدود مصر الشرقية، كما احتل ميناء السويس مكانا هاما ما بين الموانئ المصرية لوقوعها على رأس الطريق التجاري الهام بين بلاد الشرق وأوروبا، وفي عام 929هـ/1523م، أمر واليه بمصر بإنشاء أسطول قوي في السويس وإرسال حملة بحرية من السويس لمحاربة البرتغاليين وإرغامهم على إعادة الطريق التجاري لمصر [2].

صحيح أن الأسطول العثماني لم يتمكن من القضاء على البرتغاليين في الخليج العربي إلا أنهم منحوا انتشارهم وتوسعهم في شبه الجزيرة العربية بفضل الجهود التي بذلها سليمان القانوني كما تكمن من حماية الأماكن المقدسة مكة المكرمة والمدينة المنورة[3].

وعندما تولى إمارة مكة الشريف أبو نمي واصل في مجابهة الخطر البرتغالي وعرفت الحجاز في عهده اهتماما ملحوظا تمثل في تكثيف الأنشطة الخيرية العمرانية في مكة والمدينة، وعلى طول طرق الحج، إضافة إلى تطوير نظم الحكم في الحجاز بما يكفل تحسين أحواله مع الاتجاه إلى تقوية مركز العثمانيين فيه[4].

---

[1] كشميري، المرجع السابق، ص 80-81.

[2] بابكور، المرجع السابق، ص 169.

[3] إسماعيل أحمد ياغي، الدولة العثمانية ...، المرجع السابق، ص 76.

[4] كشميري، نفسه، ص 121.

المطلب الثاني: الناحية الاجتماعية.

لقد أسبغ الله عز وجل على مكة المكرمة نعما كثيرة حيث يقول جل وعلى في كتابه الكريم:

﴿ إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِّلْعَالَمِينَ ﴾ آل عمران: ٩٦

فهي مدينة الحبيب مصطفى عليه أفضل صلاة والسلام الذي قال عنها: **"والله إنك لأحب أرض الله إلى الله، وأحب أرض الله إلي"** ومهبط الوحي وقبلة المسلمين، قال الله تعالى﴿ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ ﴾ البقرة: ١٤٤ وقد زادها الله شرفا لما أقسم بها فقال: ﴿ وَهَذَا الْبَلَدِ الْأَمِينِ ﴾ التين: ٣

ولما كان لمكة المكرمة والمدينة المنورة هذا الشرف والمكانة الكبيرة عند المسلمين فإنهما حظيا بإهتمام ورعاية العثمانيين الذين قاموا بتعميرها وتوسعتهما، ومن أوجه هذه الخدمة والرعاية للحرمين الشريفين وأهاليهما السعي لتوفير الخدمات الاجتماعية والصحية والتعليمية، فقد سعى العثمانيون سواءا كانوا سلاطين أو نساء السلاطين أو باشاوات إلى خلق نسيج عمراني الهدف منه هو إيجاد مؤسسات جديدة تخدم المجتمع المكي والمدني، من بينها مؤسسات في المجال الاجتماعي مثل الأربطة والمطاهر، الحنفيات، المستشفيات، ومؤسسات تعليمية هدفها تعليم المجتمع وتثقيفه مثل الكتاتيب والمدارس...

I. المؤسسات التعليمية:

تنوعت هذه المؤسسات وتعددت أهدافها ووظائفها وهذا التنوع راجع إلى أن مكة المكرمة والمدينة المنورة كانتا على مدار التاريخ محل إلتقاء واجتماع المسلمين من جميع الأقطار والأجناس لأداء فريضة الحج.

وعليه فإن إنشاء هذه المؤسسات التعليمية سيقوم بخدمة آهالي الحرمين عامة والحجاج بصفة خاصة، من بين هذه المؤسسات نذكر:

1. الأربطة[1]:

تميزت الأربطة الموجودة في مكة المكرمة عن غيرها، فقد تعددت الأهداف التي أنشأت من أجلها، وجدت هذه الأربطة بالأحياء القريبة من الحرم المكي، فهي عبارة عن بناء وظيفته إيواء المتعبدين والزهاد وملجئ للأرامل والأيتام والنساء ومستقر للعلماء والطلبة وخاصة الفقراء منهم[2]، لعبت الأربطة بشكل عام دور مهما في المجتمع المكي فقد كان لها دور بارز في التكافل الاجتماعي بين أفراده لذلك نجد مختلف أفراد المجتمع الإسلامي من الواقفين يسارعون في وقف رباط أو أربطة لهم في مكة المكرمة، فنجد أن الأربطة انتشرت في كل عصر من العصور الإسلامية ومن بين الأربطة المنتشرة في عصر المماليك العصر السابق للفترة المدروسة نذكر منها رباط السلطان قايتباي أنشأة بجوار مدرسة في مكة حصره على الفقراء والطلبة وكان يفرق عليهم الخبز كل يوم[3].

---

[1] الرباط لغة: هو الملازمة على الأمر وعدم تركه، أما اصطلاحا: فهو عبارة عن بناء حصين كبير يقام على الحدود المتاخمة للعدو، يعسكر فيه المجاهدون من المتطوعين في سبيل الله لصد هجمات العدو، فالرباط كان عبارة منشأة حربية ولكن مع مروم الزمن تحول إلى منشأة خيرية لإيواء والسكن، أنظر: حسين عبد العزيز حسين شافعي، الأربطة بمكة المكرمة في العهد العثماني، دراسة تاريخية 1517م-1915م، رسالة ماجستير، جامعة أم القرى، المملكة العربية السعودية، 2001، ص 01.

[2] أمال رمضان عبد الحميد صديق، الحياة العلمية في مكة 1703م1916م، رسالة ماجستير، جامعة أم القرى، المملكة العربية السعودية، 2002، ص 183.

[3] محمد علي فهيم بيومي، مخصصات الحرمين الشريفين في مصر أبان العصر العثماني، رسالة ماجستير، جامعة الأزهر، القاهرة، مصر، 1999، ص372.

أما في العهد العثماني فقد كثرت هذه الأربطة وهذا راجع إلى تسابق السلاطين العثمانيين وولاتهم ونسائهم وأهل الخير في كافة جهات العالم الإسلامي إذ اعتبروها رفدا من روافد الخير فتزايد عدد هذه الأربطة حتى بلغ مائة وستة وخمسين رباطا من بينها[1]:

- **رباط خاصكي سلطانة[2]:**

أنشأته زوجة السلطان سليمان القانوني خرم السلطان[3] في المدينة المنورة خصصت له من أموالها من يقوم بأمره وجعلت قيمة إنفاقه في يد ناظر وشرطت السكن فيه لمن يكون سني المذهب وأكدت أن لا يكون فيه العجم[4].

- **رباط السلطان سليمان القانوني:**

أنشأه السلطان سليمان خان خلف مدارسه الأربعة التي أنشأها قرر له مبلغا قدره 32000 بارة تصرف على ساكني الرباط من طلبة مدارس السليمانية وأهالي مكة المكرمة[5].

- **رباط داوود باشا:**

أنشأه داود باشا لكي يسكن فيه المتوصفة، اشترط أن يكون الصوفية في هذا الرباط ثلاثين نفرا على أن يتعلموا العلوم الشرعية ويحفظوا القرآن الكريم وشرط أن يطبخ الصوفية داخل المحل المعد

---

[1] الشافعي، الأربطة بمكة...، المرجع السابق، ص 20.

[2] مصطلح يطلق على الجارية التي يستحسنها السلطان وتدخل ضمن محظياته وإذ تزوجها تكتسب لقب سيدة بدلا من خاصكية ويعين لكل واحدة منهم حرما أو دائرة خاصة، أنظر: الصديق، الحياة العلمية بمكة....، المرجع السابق، ص 140.

[3] السلطانة خرم ولدت سنة 1504م أحضرت إلى القصر العثماني وعمرها وقتئذ يتراوح بين الرابعة عشر والسابعة عشر، اسمها الحقيقي ألكسندرا وتنعت باسم روكسلان، أصبحت زوجة السلطان سليمان القانوني تعرف بالسلطانة الخيرة لكثرة الاعمال الخيرية التي تقوم بها، توفيت سنة 1558م ودفنت بفناء جامع السليمانية في إسطنبول، أنظر: جان ألبجوونج، السلطانتان خرم ومهرماه قرينة القانوني وسليلة، تر، وليد عبد الله القط، د.ط، دار النبيل للطباعة والنشر، القاهرة، مصر، 2014، ص 26-27.

[4] بيومي، مخصصات...، المرجع السابق، ص 374.

[5] صديق، الحياة العلمية...، ص 140.

لذلك وأن لا ينام أحد من سكان الرباط ليلا أو نهارا بسطحه أو يطبخ بغير طبخه، أنشأ داود باشا رباطا آخرا في المدينة المنورة[1].

- **رباط الحاج محمد كتخدا:**

أنشأه الحاج محمد كتخدا وهو من العثمانيين وعاش في مصر، كان في المدينة المنورة مقتصرا على الصوفية كما قرر للصوفية وشيخهم مرتبات[2].

كانت الأربطة بمكة في كثير من الأحيان تلحق بالمنشآت العلمية والاجتماعية وذلك حتى تعم الفائدة المرجوة منها، فقد كان يعقد في الكثير منها حلقات علمية خاصة في تلك التي يسكنها طلاب العلم ، بل إن بعض الأربطة كانت تعين مدرسا واشترطت أن يكون مشهورا بالتدين والعفة وحسن الأخلاق وأن يقرأ القرآن الكريم وعادة ما يتولى شؤون الأربطة الإدارة القائمة على الوقف في مكة المكرمة، وتتكون من ناظر ومتولي وصراف إضافة إلى الخدم والبوابين ومن مهامهم فتح الرباط وغلقه وكنسه وتنظيمه ومنع دخول الصبيان حفاظا على نظافته وعدم العبث في المصاحف والكتب، من موظفي هذه الهيئة أيضا الوقاد الذي يقوم بتعمير وصيانة القنادل فيه إضافة إلى السقاء الذي يتولى حمل الماء من البرك الكائنة بالقرب من الرباط[3].

2. المدارس:

سعت الدولة العثمانية إلى الإهتمام بالعلم والنهوض به في مكة المكرمة واستثمرت قدوم الحجاج وطلاب العلم لتبادل المعارف فأنشأت العديد من المدارس منها:

---

(1) بيومي، المرجع السابق، ص 373.

(2) نفسه، ص 374.

(3) الصديق، المرجع السابق، ص 138-139.

- **مدارس السلطان سليمان القانوني:**

استبدال السلطان سليمان القانوني الأماكن التي بجانب الحرم من الجهة الشامية[1]، وبني أربع مدارس أوقفها على كل من ولي الإفتاء من الأحناف والشافعية والمالكية والحنابلة، سبب إنشاء هذه المدرسة هو الأمير إبراهيم أمين إجراء عين عرفات الذي عرض على الأبواب السلطانية رأى أن المناسب للشأن الشريف السلطاني أن يكون لحضرة السلطان بمكة المشرفة أربع مدارس على المذاهب الأربعة يدرس فيها علماء مكة المعظمة علم الفقه فأجابه السلطان سليمان خان لذلك، بإصدار الأوامر لعمل ذلك فاختير لهذه المدارس الجانب الجنوبي من المسجد الحرام المتصل به ركن المسجد الشريف إلى باب الزيادة[2]، أقيمت هذه المدرسة على أنقاض البيمارستان المنصوري، ومدرسة السلطان أحمد شاه سلطان الكجرات بالهند[3].

- **مدرسة داوود باشا:**

أنشأها في مكة المكرمة وجعل فيها مدرسا من أهل العلم والدين حنفي المذهب يقرره الناظر بمعرفة المتولي يدرس في كل يوم من بكرة النهار من يرد عليه ويختار الإستفادة منه بالإضافة إلى الصوفيه وبقية السكان في الرباط فيدرس العلوم الشرعية[4].

---

(1) أنظر الملحق رقم 1، ص 129.

(2) عبد الله الغازي المكي الحنفي، إفادة الأنام بذكر أخبار بلد الله الحرام، تح، عبد الملك بن عبد الله بن دهيش، م2، ط1، مكتب الأسدي للنشر والتوزيع، مكة المكرمة، المملكة العربية السعودية، 2009، ص 378.

(3) بيومي، المرجع السابق، ص 348.

(4) نفسه، ص 348.

- **مدرسة محمد باشا:**

هو وزير السلطان سليمان خان سنة 973هـ/1566م تقع بجانب رباطه ولها معلوم معين من خلال وقفه بمكة المشرفة أمر أن يبنى لهم مصطاب يقعد عليه المرضى وأن يبنى خارج المدرسة دكاكين وبيوت تكرى وتصرف خلالها في خدمة المدرسة[1].

- **المدرسة المحمدية:**

أنشأها السلطان عبد الحميد الأول[2] في المدينة المنورة ألحق بها مكتبة وظلت قائمة طوال العهد العثماني[3].

- **مدرسة دار الشفقة بمكة المكرمة:**

أنشأت سنة 1913م على غرار مدرسة دار الشفقة بإسطنبول أهداف هذه المدرسة هي تعليم الأهالي في مكة والمناطق المجاورة والعمل على توفير الإعانات المالية لتغطية مصاريف التعليم وهي عبارة عن مدرسة حكومية نظامية حديثة[4].

- **المدرسة المرادية:**

أنشأها السلطان العثماني مراد الثالث 987هـ-1003هـ/1574م-1594م ابن السلطان سليم الثاني بمكة بالجبهة الشرقية من المسجد الحرام، أوقف عليها عددا كبيرا من القرى بمصر[5].

---

(1) الغازي المكي الحنفي، إفادة الأنام...، المصدر السابق، ص 384.

(2) السلطان عبد الحميد خان الأول ولد سنة 1138هـ/1726 وجلس على سدة الحكم سنة 1774/1187 مدة سلطنته 16 سنة توفي سنة 1203-1789م، عن عمر يناهز 66 سنة، أنظر: إبراهيم بك حليم، تاريخ الدولة العثمانية العلمية، ط1، مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت، لبنان، 1988، ص 183-186.

(3) بيومي، نفسه، ص 349.

(4) الصديق، الحياة العلمية ...، المرجع السابق، ص 314.

(5) نفسه، ص 301.

- **المدرسة المجيدية:**

أنشأها السلطان عبد المجيد الأول[1] في مكة المكرمة غرار مدرسته التي أنشأها بالمدينة المنورة وكانت من الضخامة بمكان حتى إنه استغرق إنشاؤها أعواما[2]. إلى جانب هذه المدارس انتشرت مجموعة من الكتاتيب في المدارس والأربطة مثل مكتبة السلطان سليمان القانوني في مدارسه ومكتبة داود باشا في مدرسته تقع هذه المكتبة بجوار باب السلام[3] ومكتبة السلطان عبد الحميد الثاني[4].

قسمت هذه المدارس التي كانت موجودة في العهد العثماني إلى ثلاث أنواع:

أ. مدارس ملحقة بالمسجد الحرام وبمحيطه:

هي التي أنشأها السلاطين والوزراء والأعيان والعلماء وكان التعليم فيها منصبا على العلوم الدينية كتفسير القرآن وعلوم القراءات والفقه وأصولها والحديث وعلومه واللغة العربية.

أهم ما يميز هذه المدارس أن أصحابها أوقفوا عليها أوقافا كثيرة خاصة مدارس السلاطين والأمراء وكانت معظم هذه المدارس ملحقة بالمسجد الحرام أو محيطه.

ب.المدارس الحكومية النظامية:

ينقسم فيها التعليم إلى أربع مراحل هي:

- **المرحلة الأولى:** يشتمل التعليم الابتدائي.

---

(1) عبد المجيد الأول 1839م-1861م خلف أباه السلطان محمود الثاني وعمره لا يتجاوز الثامنة عشرة اعتلى الحكم في فترة حرجة من تاريخ الدولة العثمانية شهد مؤتمرين دولتين هما مؤتمر في لندن الأول 1839م، والثاني 1840م، وهو صاحب التنظيمات الإصلاحية من خلال مرسومين سلطانيين عرف الأول بمنشور كلخانة، 3نوفمبر 1839م، والثاني عرف بخط هيمايون 18 فيفري 1850، أنظر: طقوش، تاريخ العثمانيين ...، المرجع السابق، ص 363-400-404.

(2) صديق، المرجع السابق، 304.

(3) عبد الحميد الثاني 1876م-1909م، تولى الحكم في ظروف استثنائية، فقد كانت البلاد تمر في أزمات حادة ومصاعب مالية كبيرة، حكم ثلاثة وثلاثين عاما، أنظر: طقوش، المرجع السابق، ص 423.

(4) بيومي، المرجع السابق، ص 350-351.

- **المرحلة الثانية:** يشتمل التعليم الثانوي.
- **المرحلة الثالثة:** تسمى مدارسها بالمدارس العليا.
- **المرحلة الرابعة:** الجامعة وكانت تسمى دار الفنون.

ت.المدارس الأهلية النظامية الحديثة:

هي عبارة عن مدارس خاصة ينشأها أناس عاديون تقوم بتعليم الأهالي مع إشراف الإدارة العثمانية عليها مباشرة[1].

3. الكتاتيب:

ساهمت الكتاتيب في نشر العلم والمعرفة وهي متنوعة منها:

- **الكتاتيب الأهلية:**

وهي الكتاتيب الموجهة لتعليم الأطفال القادرين على دفع أجر من المال نظير تعليمهم وهي منتشرة في كافة الأقاليم الإسلامية.

- **الكتاتيب العامة:**

هذا النوع هو الغالب في الكتاتيب وخاصة بالمدن الكبرى وهو ما كان منتشرا بالحجاز عامة ومكة خصوصا بحيث كان يتبع نظام الأوقاف[2].

من بين الكتاتيب المنتشرة في مكة المكرمة والمدينة المنورة نذكر:

---

[1] صديق، المرجع السابق، ص 290-213-225.

[2] بيومي، المرجع السابق، ص 337.

مكتب أو كتاب السلطان محمود الثاني:

أنشأه ضمن مجموعته العلمية الاجتماعية والمتمثلة بالمدرسة والرباط والسبيل جعله لتعليم الصبيان كتاب الله والقراءة والكتابة[1].

مكتب قراءة القرآن بعد صلاة الصبح:

هذا المكتب به ثلاثون من الأفراد المتعلمين الذين يقرأون القرآن الكريم بعد صلاة الصبح وكذلك مكتب تعليم تجويد القرآن الكريم[2].

مكتب السلطان محمود الأول:

هو مكتب لتعليم الأيتام حيث قرر فيه السلطان محمود الثاني رواتب للأيتام[3].

ومن بين الكتاتيب التي انتشرت بالمدينة المنورة في فترة البحث نذكر مكتب السلطان مراد الثالث ومكتب عبد الرحمان كتخدا[4].

---

[1] صديق، المرجع السابق، ص 268.

[2] بيومي، المرجع السابق، ص 342.

[3] صديق، نفسه، ص 271.

[4] بيومي، نفسه، ص 342.

II. المؤسسات الخيرية الاجتماعية:

أنشأت هذه المؤسسات تماشيا مع التدفق البشري الكبير للحجاج في مواسم الحج، والمعروف عن السلاطين العثمانيين و أمهاتهم والرسميون ذو المراتب الرفيعة أنهم نشيطين جدا كبنائين وكانت الأفضلية عند معظم المتبرعين لبناء الجوامع، لكن المقامات الكبرى تلحق بها إما مطابع للحساء لإطعام الفقراء وعابري السبيل وإما تكايا لإيواء المحتاجين والأيتام والأرامل إضافة إلى الحمامات.

1. المؤسستين الخيرتين في المدينة المنورة ومكة المكرمة:

بنتهما السلطانة خرم لخدمة فقراء المسلمين وطلاب العلم في الحرمين الشريفين تتكون كل منهما من عمارة ورباط، والعمارة عبارة عن مطبخ ومخبر وبيت رحي الحبوب وبئر ماء وثلاثة مخازن إثنان كبيران للغلال والثالث لسائر اللوازم الأخرى الخاصة بالمؤسسة هذا بالنسبة للمؤسسة الخيرية الموجودة بمكة المكرمة أما التي بالمدينة المنورة فتقع بالقرب من المسجد النبوي تتكون من عمارة ومسجد وحنفية للوضوء وسبيل ومطبخ ومخبز ومخزنين وبيت لنخل الدقيق والحنطة وطاحونة وبيتين متوسطين وبيت لتخزين الحوائج والمئون واصطبل وحوش كبير متصل بالمطبخ يأكل فيه الفقراء الذين يترددون على المطعم الخيري[1].وأوقفت السلطانة خرم العديد من الأوقاف المتنوعة منها:

المباني: أضافت عدة أماكن مختلفة بالمدن والقرى والأقاليم المصرية فوقفت المنزل المشتهر بالمطبخ العتيق في مكة المكرمة وجميع الحوانيت الكائنة بمكة كذلك أوقفت دار ضخمة وحوش عرف باسم وقف شكري الفراني بالمدينة المنورة بعد الشراء الصحيح[2].

سفينتان: أوقفت سفينتان في قناة السويس مع جميع آلاتهما وأدواتهما ولوازمهما لنقل الغلال التي تنتجها القرى الموقوفة في مصر إلى مينائي ينبع وجدة.

---

[1] ماجدة مخلوف، أوقاف نساء السلاطين العثمانيين وقفية زوجة السلطان سليمان القانوني على الحرمين، ط1، دار الأوقاف العربية، القاهرة، مصر، 2009، ص 17-18.

[2] بيومي، المرجع السابق، ص 100.

هذا بالإضافة إلى مجموعة من الكفور والقرى جميعها في مصر عدد هذه القرى أربع عشر قرية منحها إياها السلطان سليمان القانوني وهذا الوقف تستثنى منه المساجد والزوايا والمقابر والطرق والمصالح والرزق الخاص والحبوس[1].

2. التكايا:

التكايا جمع تكية وهو مصطلح الذي استعمل بديلا للفظ "خانقاه" وهي كلمة فارسية معناها "بيت العبادة" أو "بيت الأكل".

والتكايا عبارة عن بناء يقيم فيها الدراويش وتطور الحال حتى أصبحت في العصور التالية ملاجئ لإيواء المرضى والأيتام وكبار السن ونظرا للدور الاجتماعي الكبير الذي لعبته التكايا كانت محل اهتمام من العثمانيين.[2] فأسسوا عدد من التكايا نذكر منها:

- **دار ضيافة السلطان عبد الحميد الثاني "مسافر خانة":**

أسس السلطان عبد الحميد الثاني تكية معروفة باسم "مسافر خانة" لتكون سكنا ومطعما لفقراء مكة وحجاج الله الحرام وكانت من طابقين افتتحهما سنة 1318هـ-1900م[3].

- **تكية دار الشفاء:**

أسستها السيدة عائشة والدة السلطان مراد خان الرابع سنة 1036هـ-1626م، وأوقفت عليها أوقافا كثيرة لإطعام فقراء بمكة المكرمة[4].

---

[1] مخلوف، أوقاف نساء...، المرجع السابق، ص 15-16.

[2] بيومي،المرجع السابق، ص 361.

[3] صديق، المرجع السابق، ص 146.

[4] بيومي، نفسه، ص 367.

- **تكية المدينة المنورة الخاصكية القديمة:**

ليس معلوم من هو مؤسس هذه التكية التي وجدت بمكة قبل العهد العثماني كانت لها أوقاف كثيرة لإطعام فقراء المدينة المنورة، إضافة إلى تكية السلطان مراد الثالث 982هـ-1003هـ/1574م-1594م، جعلها السلطان جامعة لأوصاف الكمال حاوية لأنواع النعم للواردين والنازلين والفقراء والمساكين المقيمين والمسافرين للأكل والمبيت[1].

- **تكية السلطان أحمد خان:**[2].

أنشاها السلطان أحمد خان وجعل عليها أوقافا كثيرة وغيرها من المنشآت الاخرى وكان يرسل سنويا لهذه التكية مبلغا كبيرا من المال مقرها بالمدينة المنورة[3].

سعت الدولة العثمانية إلى تغيير النسيج العمراني في مكة المكرمة على وجه الخصوص والمدينة المنورة على وجه العموم، وجعله يتلائم مع طبيعتها الاجتماعية المتغيرة باستمرار بسبب وفود الحجيج وذلك بإضافة مؤسسات تخدم الحجاج وتسهل عنهم منها:

3. الحمامات:

مكة المكرمة على مدار التاريخ هي مركز اجتماع وإلتقاء المسلمين من جميع الأقطار والأجناس مما أدى في أحيان كثير لإنتقال بعض الأمراض المعدية من المناطق البعيدة إلى مكة المكرمة والمدينة المنورة لهذا كانت الرعاية الصحية وما يحتاج إليه من مظاهر النظافة وتجنب أسباب انتشار الأمراض موضع رعاية الإدارة العثمانية.

---

[1] بيومي، المرجع السابق، ص 368-369.

[2] السلطان أحمد خان الأول ابن السلطان محمد الثالث ولد سنة 998م-1590م جلس على سدة الحكم سنة 1012هـ-1603م وسنة أربع عشرة سنة. توفي بعد صراع مع المرض في الليلة الثالثة عشرة من ذي القعدة 1026هـ/1617م، أنظر: طقوش، تاريخ العثمانيين...، المرجع السابق، ص 113.

[3] بيومي، نفسه، ص 370.

من هذه المظاهر إنشاء الحمامات العامة وحسب ما تذكر المصادر العثمانية أنه كان يوجد في مكة المكرمة في القرن 11هـ-17م حمامات عامة وخاصة أجملها هو الحمام الذي أنشأ صوقللو ومحد باشا وكذلك حمام سنان باشا فاتح اليمن، فضلا عن مائة وخمسة وأربعين حماما في القصور والسرايا الخاصة بالأشراف[1]، من بينها كذلك حمام مراد باشا الثالث الذي بناه للحجاج الفقراء بالقرب من المسجد الحرام[2].

4. المياضي أو الحنفيات:

أي بيت الوضوء كانت منتشر في مكة منها: مطهرة الناصر محمد بن قلاوون ومطهرة الملك الأشرف شعبان بالمسعى، أما في العهد العثماني فقد وجدت مطهرة بالمسعى على يمين الصاعد إلى المسعى عمرت في زمن السلطان عبد المجيد خان[3].

5. المستشفيات والمرافق الصحية:

من بين هذه المستشفيات:

مستشفى الصدر الأعظم صوقللو محمد باشا 1579، كان مأوى للمجانين موله بطريقة غير إعتيادية فقد باع إحدى سفنه وحصل على وعد من السلطان بأن تقرضه الموازنة الإقليمية المصرية بما يكفي من المال حتى يمول مشروعه[4].

وبعد أن تعرضت مكة المكرمة للكوليرا عام 1281هـ-1865م، أنشأت الإدارة العثمانية إدارة صحية لمراقبة الحالة الصحية للحجاج ومراقبة السواحل الحجازية، ونظرا لعدم توفر نظام للصرف

---

(1) ماجدة مخلوف، الخدمات والمرافق العامة في مكة في العهد العثماني 1517م-1916م، بحيث مقدم إلى ندوة مكة المكرمة عاصمة الثقافة الإسلامية 1426هـ-2006، ص 180.

(2) ثريا فاروقي، المرجع السابق، ص 184.

(3) محمد بن أحمد المالكي المكي الصباغ، تحصيل المرام بأخبار البيت الحرام والمشاعر العظام ومكة والحرم وولاتها الفخام، تح، عبد الملك بن عبد الله بن دهيش، ج1، ط1/ مكة المكرمة، المملكة العربية السعودية، 2004، ص 629-632.

(4) فاروقي، نفسه، ص 177.

الصحي في مكة المكرمة انتشرت العديد من الأمراض وفي زمن السلطان عبد الحميد الثاني عرفت الخدمات الصحية نهضة في الخدمات الصحية فتم تأسيس دار الصحة خاصة بمكة المكرمة عام 1312هـ/1895م بغية تأمين راحة الحجاج ومراقبة أحوالهم الصحية وكذلك تم إنشاء إدارة صحية في منى لتوفير الرعاية الصحية للحجاج ومستشفى يتسع لأربعين سريرا وصيدلية عام 1300هـ/1883م لأن منى[1] كانت مصدرا لانتشار الأمراض في موسم الحج بسبب لحوم الأضاحي التي كانت تترك مخلفاتها في العراء، كما تم إنشاء مستشفى للفقراء في مكة وآخر في المدينة[2].

[1] أنظر الملحق رقم 2، ص 130.

[2] مخلوف، الخدمات العثمانية...، المرجع السابق، ص 181-182.

المطلب الثالث: من الناحية الاقتصادية.

1. مساهمة الحجاج في التجارة:

لقد مارس الحجاج التجارة مع أهل الحجاز أثناء طريقهم إلى مكة المكرمة، أو في منى أو في المدينة المنورة وحتى في طريقهم إلى الحجاز، فالرحالة المغاربية تحدثوا عن تنوع البضائع وكثرتها في مكة المكرمة ومنى والأماكن الآتية منها حيث تصب جميعا في مكة المكرمة ومنى والأماكن الآتية منها حيث نصب جميعا في مكة المكرمة بذلك كانت وسيط ومركزا للتجارة تصديقا لقوله تعالى:

﴿فَٱجۡعَلۡ أَفۡـِٔدَةٗ مِّنَ ٱلنَّاسِ تَهۡوِيٓ إِلَيۡهِمۡ وَٱرۡزُقۡهُم مِّنَ ٱلثَّمَرَٰتِ لَعَلَّهُمۡ يَشۡكُرُونَ﴾ إبراهيم: ٣٧

وقوله تعالى: ﴿أَوَلَمۡ نُمَكِّن لَّهُمۡ حَرَمًا ءَامِنٗا يُجۡبَىٰٓ إِلَيۡهِ ثَمَرَٰتُ كُلِّ شَيۡءٖ﴾ القصص: ٥٧ [1]

ويقال أن مكة المكرمة ومنى والمدينة المنورة تتسع بها الأرزاق خاصة عندما يصل الركب الشامي، فتنصب الأسواق وتقسم الصدقات فلا ينتفع أهاليهم بركب آخر قدر انتفاعهم من ركب الحج الشامي فإنهم يقدمون بتجارتهم الكثيرة وزيت وأشربه يبيعونها عند قدومهم المدينة ويدخرون ما بقي إلى الإياب فيبيعون كل ذلك بالمدينة[2].

---

[1] عواطف بنت محمد يوسف نواب، كتب الرحلات في المغرب الأقصى، مصدر من مصادر تاريخ الحجاز في القرنيين الحادي عشر والثاني عشر الهجريين، دراسة تحليلية نقدية مقارنة، 250، دار الملك عبد العزيز، الرياض، 1429هـ، ص 250.

[2] عبد الله ابن محمد العياشي، الرحلة العياشية 1661-1663م، تح، سعيد الفاضلي وسليمان القريشي، دار السويدي للنشر والتوزيع، أبوظبي، الإمارات المتحدة، 2006، ص 385.

كذلك ركب الحجيج القادم من مصر[1] والمغرب وغيرها من البلاد الإفريقية الذي مارس التجارة مع بعض الأعراب[2] القاطنين على درب الحجيج وحوله ومنهم من كان يأتي من مناطق بعيدة للتجار مع الحجاج فبيعونهم العلف والحبوب والعسل وملابس الإحرام والنعال[3].

كما استخدمت الموانى أيضا في نقل التجارة والمؤون للتوسيع على الحجيج أثناء طريقهم وعلى أهل مكة المكرمة والمدينة المنورة فكانت جدة مرسى لسفن كثيرة تحمل البضائع الهندية والأقمشة الجيدة التي منها ما كان يعرض في جدة ومنها ما يحمل إلى مكة المكرمة.

ويبدو أن جدة كانت مهيأة للتجارة وذلك لوجود الأسواق والفنادق ومكاتب الكراء والوكالات التجارية[4].

ولهذا الغرض كانت تقام أسواق موسمية خاصة بالحج فيه مجتمع أهل المشرق والمغرب، فتباع في يوم واحد فضلا عما يتبعه من الذخائر كالجواهر والياقوت وسائر الأحجار الكريمة ومن أنواع الطيب كالمسك والكافور والعنبر والعود والعقاقير الهندية إلى غير ذلك من جلب الهند والحبشة إلى الأمتعة العراقية واليمانية وغير ذلك من السلع الخراسانية والبضائع المغربية[5].

فمواسم الحج تفوق أكبر المعارض التجارية العالمية الحديثة لأنها عفوية ولسلعها صفة التجدد والتنوع[6].

---

(1) جورج أوغست فالي، صورة من شمالي جزيرة العرب في منتصف القرن التاسع عشر، تر، سمير سليم تسليبي، د.ط، ب م، 2003، ص 156.

(2) عبد القادر ابن محمد الأنصاري الحنبلي الجزيري، الدرر الفرائد المنظمة في أخبار الحاج وطريق مكة المعظمة، تح، محمد حسن محمد حسن اسماعيل، ج2، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 2002، ص 266.

(3) العياشي، نفسه، ص 364.

(4) عواطف نواب، المرجع السابق، ص 251.

(5) مهدي حسن بن عقبه موسى الشريف، المختار من الرحلات الحجازية، ط1، السعودية، الرياض، جدة، 1461هـ/2000، ص 251.

(6) كشميري، المرجع السابق، ص 317.

إن إقامة الأسواق في أيام الحج له جذور موغلة في القدم واستمر الحال بعد الإسلام وخاصة بعد أن أنزل الله سبحانه وتعالى آية قرنت الحج بالتجارة قال تعالى : ﴿لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَبْتَغُوا فَضْلًا مِّن رَّبِّكُمْ ۚ فَإِذَا أَفَضْتُم مِّنْ عَرَفَاتٍ فَاذْكُرُوا اللَّهَ عِندَ الْمَشْعَرِ الْحَرَامِ ۖ وَاذْكُرُوهُ كَمَا هَدَاكُمْ وَإِن كُنتُم مِّن قَبْلِهِ لَمِنَ الضَّالِّينَ﴾ البقرة: ١٩٨ [1]

ولأهمية التجارة وفعاليتها ومدى الانتفاع الحجاج منها داخل أسواق مكة المكرمة وكثرة البيع والشراء كان الحجاج يستعجلون النزول بها، إضافة إلى أن قوافل الحجاج لا تخرج من مكة المكرمة إلا بعد تصريف ما حملوه وشراء غيره ليبيعوه بعد عودتهم لأوطانهم[2].

2. المهن المرافقة للحج:

يعد موسم الحج من مواسم العمل أيضا فينفتح خلاله مجالات واسعة لممارسة الكثير من المهن التي تقدم خدمات للحجاج خلال إقامتهم في مكة المكرمة ومنها مهنة الطوافة[3]، التي شهدت طفرة من العهد العثماني خاصة في القرن العاشر هجري بسبب كثرة الوافدين من كبار المسؤولين والشخصيات المكلفة بأداء أعمال في مكة المكرمة أو ممن كان يمر بها من قادة في طريقهم إلى اليمن والهند أو ممن يفد لأداء فريضة الحج فقط أو المجاورة في مكة[4]، وأصبح عملا يسترزق منه بعض أهل أهل مكة.

---

[1] نواب، المرجع السابق، ص 324.

[2] العياشي، المصدر السابق، ص 157.

[3] هي مهنة إرشاد الحجاج لأداء مناسك الحج والعمل على توفير احتياجاتهم ونقلهم على إقامة المشاعر.

[4] كشميري، المرجع السابق، ص 223.

كذلك كراء المنازل التي لم تكن بالرخيص[1]، وكراء الجمال لحملهم من جدة وردهم وقت الانتهاء من أداء الفريضة[2]، ونظرا لكثرة الحجاج لم تكفي الجمال المطلوبة[3]، ووجد كذلك مهنة حلاقة رؤوس الحجاج التي لم تكن بصورة صحيحة لرغبتهم في حلاقة أكبر عدد ممكن من الرؤوس[4]، وكان تحصيل النقود أيضا عن طريق الأدلاء الذين يقومون بهذا العمل لقاء أجرة يأخذونها مقابل مساعدة الزوار.

كما أسهم في توافر النقود المكوس التي كانت تفرض على الحجاج الذين يفدون من مناطق لا تتبع للسلطان العثماني كعراق والعجم والهند. وكانت كثرة النقود وقلتها تتفوق على أعداد الحجاج القادمين إلى الحجاز وكثرة الحجاج أيضا كانت متوقفة على سلامة وصولهم وعدم تعرضهم لسلب والقتل أثناء طريقهم وهي أن رخاء الحجاز كان مرهونا بأمن طرقه وهطول الأمطار[5].

وموسم الحج كذلك فرصة لانتعاش كل مصادر الدخل الأخرى لزيادة الطلب على كل ما يحتاج إليه الناس في حياتهم اليومية كالمنتجات الزراعية والحيوانية والصناعية من مأكل ومشرب ومسكن[6].

---

(1) العياشي، المصدر السابق، ص 394.

(2) الشريف، المرجع السابق، ص 46.

(3) محمد صادق باشا، الرحلات الحجازية، بدر للنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ص 36.

(4) العياشي، نفسه، ص 320.

(5) نواب، المرجع السابق، ص 336.

(6) كشميري، المرجع السابق، ص 317.

المبحث الثاني:

قوافل الحج في العهد العثماني 932هـ-1335هـ/1517م-1916م

المبحث الثاني: قوافل الحج في العهد العثماني 932هـ-1335هـ/1517م-1916م

المطلب الأول: قافلة الحج الشامي

المطلب الثاني: قافلة الحج المصري

المطلب الثالث: قافلة الحج العراقي

المطلب الرابع: قافلة الحج اليمني

المبحث الثاني: قوافل الحج في العهد العثماني 932هـ-1335هـ/1517م-1916م[1].

الحج ركن من أركان الإسلام الخمسة، له مكانة كبيرة في نفوس المسلمين بقوله الله تعالى: ﴿وَأَذِّن فِي ٱلنَّاسِ بِٱلْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ ﴿٢٧﴾ لِّيَشْهَدُوا۟ مَنَٰفِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُوا۟ ٱسْمَ ٱللَّهِ فِىٓ أَيَّامٍ مَّعْلُومَٰتٍ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُم مِّنۢ بَهِيمَةِ ٱلْأَنْعَٰمِ ۖ فَكُلُوا۟ مِنْهَا وَأَطْعِمُوا۟ ٱلْبَآئِسَ ٱلْفَقِيرَ﴾ الحج: ٢٧ – ٢٨

وبهذا ارتبطت مكة المكرمة منذ فجر الإسلام بطرق حج تسلكها قوافل الحجاج من مصر والمغرب والأندلس والشام والعراق وشبه الجزيرة العربية ونظرا الأهمية هذه الدروب فإنها لاقت عناية كبيرة من قبل الخلفاء المسلمين وأمرائهم بل وأعيانهم من الأغنياء والتجار.

لهذا السبب فإن الدولة العثمانية أولت اهتماما كبيرا بقوافل الحج واعتبرت أن هذا العمل من الواجبات التي تقع على عاتقها وراعت الطرق التي سلكها الحجيج برا وحموا سفنهم بحرا.

وقد أبقى العثمانيون على القواعد والأنظمة التي كانت تسير بموجبها قوافل الحج منذ صدر الإسلام، فلم يدخلوا عليها إلا تعديلات طفيفة لا تكاد تلمس، ومن جملة هذه التعديلات إيجاد هيئة تتولى الإعداد والتنظيم والإشراف على قوافل الحج، عرفت هذه الهيئة بإمارة الحج[2].

ويطلق على القائم على هذه الإمارة لقب أمير الحاج[3].

---

[1] انظر الملحق رقم 3، ص 131.

[2] إمارة الحج هي هيئة إدارية مالية وعسكرية واجتماعية تتولى الإشراف على خدمة ونقل الحجاج من العواصم والحواضر المهمة في الدول الإسلامية، إلى مكة المكرمة لأداء فريضة الحج مع التعريج بهم على المدينة المنورة لزيارة مسجد الحبيب محمد عليه أفضل صلاة وسلام، ثم تعود بهم من حيث خرجت بهم، أنظر: كشميري، المرجع السابق، ص 334.

[3] أمير الحج هو اسم وضيفة عرفت منذ عهد الرسول عليه الصلاة والسلام تولاها بنفسه أثناء تأديته لحجة الوداع، وبعد وفاته صلى الله عليه وسلم شغلها الصحابة رضوان الله عنهم، فكان أول من ولي هذا المنصب ولقب بأمر الحج الصحابي الجليل أبي بكر الصديق رضي الله عنه، وبعد الصحابة سار الخلفاء والولاة على هذه السنة، أنظر: إمارة الحج في عصر الدولة المملوكية...، المرجع السابق، ص 19.

وقد تعددت قوافل الحج القادمة إلى مكة في العهد العثماني[1] فكان من أشهرها: قافلة الحج الشامي ثم المصري ثم العراقي واليمني، أما الحجاج القادمون من الأقاليم إلا بعد فكانوا يتجمعون في عواصم الأقاليم التي تخرج منها قوافل الحج الأربعة.

[1] أنظر الملحق رقم 4، ص 132.

المطلب الأول: قافلة الحج الشامي:

قافلة الحج الشامي كانت تخرج من دمشق بعد أن تنظم إليها جموع الحجيج الأخرى القادمة من العاصمة العثمانية اسطنبول، وركب الحج الفارسي الذي ينظم إلى قافلة الحج الشامي عندما لا تسمح الظروف باستخدام قافلة الحج العراقي، وكان على والي الشام الذي يتولى إمارة الحج الشامي ضبط هذا العدد الكبير من الحجاج وإعداد القافلة، وكل ما يتعلق بها[1]، كما يقع على عاتقه مهمة ضبط الأمن في المدينة أثناء وجود هذا العدد الكبير بها، ومن مسؤولياته أيضا إعداد قافلتي الحج والمحمل الشريف وتأليف القوة العسكرية التي ستصحبها والدفاع عنها ضد أي عدوان محتمل تشبه القبائل البدوية في الطريق، إضافة إلى إعداد الآبار ومنازل الحج وحراستها[2] على طول الطريق من دمشق إلى الحجاز الذي بلغ حوالي 1500 كلم^2 وتستغرق رحلة الحج من دمشق إلى مكة ثلاثة أشهر[3].

كانت قافلة الحج الشامي تتحرك من دمشق متوجهة نحو الأماكن المقدسة بالحجاز عبر عدد من المنازل يقودها والي دمشق[4] الذي يتأهب للخروج قبل حلول موسمه بنحو ثلاثة أشهر يكون هذا في أواخر رجب وأوائل شعبان ثم يعود إلى دمشق في أوائل شوال وخلال هذه الفترة كان يمر على المناطق التابعة له من أجل جمع الأموال اللازمة لتسيير القافلة[5]، ويطلعنا المؤرخ المعاصر أحمد البديري

---

(1) مطلق البلوي، العثمانيون في شمال الجزيرة العربية 1908م-1923م، ط1، الدار العربية للموسوعات، ، بيروت، لبنان، 2017، ص 45.

(2) أحمد البديري، حوادث دمشق اليومية، تن، محمد سعيد القاسمي، ط1، مطبوعات الجمعية المصرية للدراسات التاريخية، القاهرة، مصر، 1959م، ص 48.

(3) كشميري، المرجع السابق، ص 351.

(4) بدأ والي الشام يتولى إمارة في النصف الثاني من القرن 17م، أما قبل ذلك فقد جرت عادة الدولة بأن تعهد لحاكم نابلس وعجلون بإمارة الحج الشامي وغالبا كان يختار من كبار العسكريين بدمشق أو من زعماء العشائر العربية في فلسطين وبعد سنة 1671م قررت الدولة أن يتولى باشا الشام إمارة الحج ومنذ ذلك الحين أصبحت إمارة الحج من نصيب باشاوات مصر، وقد ظهرت في القرن 17م، إلى جانب أمير الحج شخصية أخرى يد على صاحبها أمير الركب الذي يصحب المحمل، أنظر: البديري، المصدر السابق، ص 49.

(5) البلوي، العثمانيون في شمال...، المرجع السابق، ص 46.

عن الجولة التي يقوم بها والي دمشق فيقول: "يتأهب الباشا للخروج للحج قبل حلول موسمه بنحو ثلاثة أشهر ويبدأ هذا التأهب بالخروج للدورة وهي جولة تفتيش يقوم بها مع بعض جنده ويستهدف بها أمرين:

- الأمر الأول: جمع مال الدولة من سكان المناطق الجنوبية من ولايته وهي المناطق التي يحكم فيها أصحاب العصبيات من شيوخ البلاد وزعماء العشائر وذلك ليستعين لهذه الأموال لإعداد القافلة.
- الأمر الثاني: إظهار سطوة الدولة في هذه الجهات التي ستمر بالقرب منها القافلة.

وقد جرت العادة أن يخرج والي الشام للدورة في أواخر رجب أو أوائل شعبان ويعود في أوائل شوال وقد يتقدم خروجه للدورة عن الوقت المحدد وقد يتأخر"[1].

في الأسبوع الأخير من شعبان يتوافد الحجاج إلى دمشق وتمتلئ المدينة شيئا فشيئا بهم طوال شهر رمضان، وفي الأسبوع الثالث من رمضان يصل ركب الصرة أميني أو أمين الصرة[2]، وهي المال الذي ترسله الدولة العثمانية إلى الحجاز، يبدأ أمين الصرة رحلته من القسطنطينية في الأسبوع الأخير من رجب، حتى إذا ما إنتصف شوال تكون الترتيبات النهائية لإعداد قافلة الحج وركب المحمل قد تمت فيخرج أمير الحج من سراي الحكم بقرب القلعة على رأس موكب المحمل بين 15 و17 شوال، ثم يمر بالكسوة وهي لا تبعد كثيرا عن دمشق وفيها يمكث الحاج، بعدما يمر على خان ذي النون وفيه يطبخ الأكل لجميع الحجاج، بعدها يتوجه الحجاج إلى ضمين وهي من قرى حوران، تليها المزيريب وهو واد به قلعة، وقرية المزيريب هي نقطة التجمع النهائي لركب الحج الشامي والحلبي والعثماني، يقضون فيها بضعة أيام ريثما يعدون أنفسهم للرحلة الشاقة إلى بلد الله الحرام، ينظم الباشا جنده ويتقدم بالمحمل الشريف والجند الكثيف يشق الطريق أمام قوافل الحجاج الذين يسيرون من خلفه ويعود المزيربانية إلى دمشق في أواخر شهر شوال- المزيربانية هم الذين خرجوا لتوديع الحجاج حتى

---

(1) البديري، المصدر السابق، ص 50.

(2) يخرج موكب الصرة من الباب الهمايوني وتمر من أضنة وحماة ومنها إلى الشام حيث تسلم إلى واليها هذه الصرة تستخرج نقدا من الخزينة في شهر رجب من كل عام، وتسلم إلى أمين الصرة، أنظر: جارشيلي، أشراف مكة...، المرجع السابق، ص 80-82.

المزيريب- ويمضي الركب في طريقه إلى الحجاز فإذا كان الوقت شتاء مضوا في سيرهم نهارا واستراحوا ليلا، وإذا كان الوقت صيفا أثروا المسير ليلا واستراحوا نهارا[1].

بعد قرية المزيريب يرتحل الحجاج إلى الواد القديم ويعرف بالمفرق لأن الحجاج إذا رجعوا تفرقوا فيه يصل الحجاج بعده إلى الزرقاء وهو واد مقفر، ثم يأتي الحجاج إلى القطراني ثم الحسا ثم عنيزة ثم مغان بعدها يأتي الحجاج على عقبة الصوان وفيها ينزل الركب فيخرجون أنواع الحلوى المعدودة لذلك ويفرقونها على بعضهم لذلك يقال لها عقبة الحلوى[2] ليصلوا إلى تبوك.

يسلك الحجاج في هذا كله طريق عرف بالدرب السلطاني وهو أقرب ما يكون إلى البحر غربا وهو على قصره يختار أرضا مجدبة[3]، ومن تبوك يتوجه الحجاج نحو الأخيضر، مدائن صالح، العلا، وادي القرى ثم المدينة المنورة ومن المدينة يتوجه الحجاج نحو مكة المكرمة[4] في الأسبوع الأول من ذي الحجة لقد عنيت الدولة العثمانية بقافلة الحج الشامي لأنها متصلة بالعاصمة اسطنبول ويسير عليه حجاجهم إضافة إلى أن القافلة يخرج معها المحمل وهو هودج يحمل على جمل ضخم برادعه مزركشة بالخرز، وتتدلى شراشيبه من حوله حتى تصل إلى الأرض وكان المحمل مزين بالمرايا والصدف وذيول الثعالب وأقمشة الزينة المختلفة تتدلى على رقبته وظهره ويشتمل على هدايا العثمانيين الموجهة إلى الحرمين الشريفين[5]، ومن الخدمات والمنشآت التي شيدها العثمانيون على طريق الحج الشامي أنهم وحدوا مسار الحجاج في الكرك وهي منطقة تشمل أغلب الأردن حاليا، وركزوا على درب واحد ليسهل عليها حمايتهم، والحد من اعتداءات الأعراب[6]، ومن أوجه فرض الدولة العثمانية على سلامة قوافل الحجاج أنها كانت تسلم مبلغا من المال لأمير الحج الشامي لصرفه على إعاشة القافلة

---

(1) البديري، المصدر السابق، ص 51.

(2) محمد بن عبد الله الحسيني الموسوي، رحلة الشتاء والصيف، تح وتق، محمد سعيد الطنطاوي، ط2، المكتب الإسلامي للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، 1965، ص 232-233.

(3) البديري، نفسه، ص 52.

(4) كشميري، المرجع السابق، ص 351.

(5) البلوي، المرجع السابق، ص 48.

(6) كشميري، نفسه، ص 353.

وتقديم الطعام للحجاج واستئجار الإبل ودفع الأموال لشيوخ القبائل من أجل تقديم ما تحتاجه القافلة من خدمات مثل جلب الماء وحفظ الأمن، إضافة إلى هذا فقط صرف السلاطين العثمانيون مبالغ من المال تسمى الصرة لقاء خدماتهم تلك[1].

وقد كانت الدولة تولي قافلة الحج الشامي[2] أهمية كبيرة ومن مظاهر هذا الاهتمام أنها كانت تختار أحد وزرائها أو ولاتها في حلب أو طرابلس الشام أو صيدا أو حاكم غزة إذ عاد الحجاج عن طريق الدرب الغزاوي وتعهد إلى أحد ولاتها الذي وقع عليه الاختيار لإعداد قافلة الجردة ويطلق على من يعد هذه القافلة لقب سردار الجردة، وهذه الأخيرة هي مؤن من الأرز والشعير والزيت والعليق والحبال والملابس تعد لإسعاف الحجاج في طريق عودتهم إلى الشام خشية أن يكون ما عنهم قد نفذ ويصحب الجردة طوائف من الجند لحراستها والإشتراك مع الجنود المرافقين لأمير الحج في حراسة قوافل الحجاج في طريق عودتهم.

وقد جرت العادة أن تصل الجردة إلى دمشق من حلب أو طرابلس أو صيد في منتصف شهر ذي القعدة، تصل الجردة إلى مكان يسمى الهدية التي تقع على بعد قليل من شمالي المدينة المنورة، فتقيم بها أياما في انتظار قافلة الحج الشامي بعدها تنزل القافلة في ضيافة الجردة وسردارها[3].

إضافة إلى هذا فقد كان لقافلة دمشق قاض ومشرف إضافة إلى مشرف آخر مهمته توزيع الصدقات على الحجاج الفقراء بالنيابة عن السلطان، وكان يرافق القافلة موظف رسمي مسؤول عن إدارة الهدايا المرسلة إلى أهالي مكة المكرمة والمدينة المنورة[4].

وبعد أن يقوم الحجاج بأداء شعائر الحج يبرحون مكة عائدين إلى المدينة في أواخر شهر ذي الحجة ومنها إلى دمشق فيصلونها في الأيام الأولى من شهر صفر، وإذا كان أمير الحج قد سبق قوافل الحج وتقدمها في طلوعها من دمشق ليشق لهم الطريق، فإنه في طريق العودة إلى دمشق يتأخر عنهم

---

(1) البلوي، المرجع السابق، ص 49.

(2) أنظر الملحق رقم 5، ص 133.

(3) البديري، المصدر السابق، ص 53-54.

(4) فاروقي، حجاج وسلاطين...، المرجع السابق، ص 65-66.

ليكون ردئا لهم من اعتداءات العربان[1]، فعلى سبيل المثال تعرض الحاج الشامي سنة 925هـ/1519م إلى اعتداء في شعب النعام –واد قريب من مكة– على يد رجل بدوي ومعه عربان تزيد عن ألفين نفر، فأخذوا من الحاج الشامي جماعة بأحمالهم وجمالهم وقتلوا من الرجال والنساء جماعة، وباعوا النساء والأولاد كالأرقاء[2]، وظلت هذه المشكلة شوكة في حلق أمراء الحج الأمر الذي جعلهم مضطرين إلى شراء قبائل البدو وبالمال عندما فشلوا في إخضاعهم بالقوة ولضمان سلامة القافلة قدموا مالا عرف بالصر أو الصُرة يدفع نصفه عند ذهاب القافلة والنصف الآخر عن عودتها ويتضمن هذا المال حق المرور والحماية وأجرة البدو كأدلاء للقافلة، وقد تنوعت اعتداءات البدو على قافلة الحج الشامي فكانوا يملئون برك الماء في منازل الحج على الطريق السلطانية بين الشام والحجاز، ولم يقتصر خطر البدو في بلاد الشام على طريق الحج فحسب بل تعداه إلى الريف وضواحي المدن مثل دمشق[3].

هذا بالنسبة للاعتداءات التي كان يلقاها الحجاج أما فيما يخص الوفود الأولى التي تصل إلى دمشق، فإن أول من يصل هو الجوخدار الذي يعينه أمير الحج ليبشر أهل دمشق بسلامة الحجاج، إن كان الركب عاد سالما أو ليطلب المساعدة والنجدة إن تعرضوا للعدوان، وعلى إثر الجوخدار يصل الكتاب إلى دمشق والكتاب هو الشخص الذي ينفذه أمير الحاج ليحمل كتبهم إلى ذويهم فيصلها بعد الجوخدار بثلاثة أيام، وفي إثر الكتاب بعد يومين أو ثلاث يبدأ وصول الحجاج إلى دمشق فيصلونها بين إثنان وخمسة من شهر صفر ويستمر دخولهم إلى المدينة نحو خمسة أيام وفي إثرهم يدخل أمير الحج وسردار الجردة[4].

---

(1) البديري، المصدر السابق، ص 53.

(2) أحمد بن محمد الأنصاري ابن الحمصي، حوادث الزمان ووفيات الشيوخ والأعيان، تح، عبد العزيز فياض حرفوش، مج3، ط1، دار النفائس للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، 2000، ص 531.

(3) أحمد إيبش، تاريخ الشام في مطلع العهد العثماني، ط1، هيئة أبو ظبي للثقافة والتراث، أبو ظبي، الأمارات المتحدة، 2010، ص 22-23.

(4) البديري، نفسه، ص 54.

المطلب الثاني: قافلة الحج المصري[1].

اعتبرت هذه القافلة ثاني أهم قافلة حج في العهد العثماني بعد قافلة الحج الشامي، تكمن أهمية هذه القافلة في كونها تضم مزيجا من الحجاج، فهي مكونة من ركب الحاج المصري إضافة إلى حجاج شمال إفريقيا (المغاربة) إضافة إلى أنها اكتسبت أهمية كبيرة تفوقت بها عن غيرها بسبب ما تحمله من المساعدات الموجهة إلى الحرمين الشريفين علاوة عن كسوة الكعبة المشرفة.

- **درب الحج المغربي:**

كانت قافلة الحج المصري تضم أجناس متعددة منهم المغاربة الذين يسلكون طرقا برية وبحرية إلى أن يصلوا إلى مصر للإنظمام إلى قافلة الحج المصري والمسير معها إلى الحجاز[2]، فالحجاج المغاربة كانوا يركبون البحر ويصلون إلى القاهرة على متن سفن فرنسية أو انجليزية التي كانوا يفضلونها لأنها تتوفر على حماية كبيرة ضد هجمات القراصنة المالطيين في رحلة تستغرق حوالي شهر إلى أن يصلوا إلى مدينة الإسكندرية[3]، كما كانت هناك قافلة أخرى تخرج من جهة الغرب متوجهة نحو الشرق[4].

تخرج هذه القافلة من مدينة سجلماسة[5] بالمغرب الأقصى لتصل إلى القاهرة مرورا بكل الجزائر وتونس وطرابلس الغرب قبل أن تأخذ هدفها ووجهتها المحددة وهي مكة المكرمة والمدينة المنورة، حيث كانت القافلة تخرج من سجلماسة كل سنة بداية من شهر ربيع الأول ومعهم دليل الطريق يكتريه أمير الركب[6].

---

(1) أنظر الملحق رقم 06، ص 134.

(2) الكاملة فرحات، قافلة الحج المصري إبان العهد العثماني من القرن 16م إلى القرن 18م، رسالة ماجستير، جامعة الجزائر 2، 2012، ص 52.

(3) فاروقي، المرجع السابق، ص 236.

(4) سجلماسة هي مدينة تقع في صحراء المغرب الأقصى وهي مدينة كثيرة العامر، ومقصد للوارد، أنظر: العياشي، المصدر السابق، ص 57.

(5) فرحات، نفسه، ص 52.

(6) كان الحجاج المغاربة يجتمعون في ميناء الجزائر مع الحجاج الجزائريين وهناك ينضم إليهم الحجاج التونسيين، ومن ميناء الجزائر يخرج الحجاج المغاربة على متن السفن المخصصة لنقلهم على ميناء الإسكندرية، ومن هناك يضم الحجاج المغاربة إلى قافلة الحج المصري.

يضم ركب الحج المغربي حجاج من مدن المغرب الأقصى كمراكش وفاس وسلا وأحيانا كانت تضم حجاج السنغال وبعد تجمع الحجاج تنطلق قافلتهم سالكة إما الطريق البري المحاذي للبحر المتوسط أو الطريق البحري عبر المتوسط يصل الركب المغربي إلى الجزائر التي يخرج منها حجاج كثيرون ومن الجزائر يمر الركب المغربي بتونس حيث يجتمع هناك الحجاج الوافدون من المدن التونسية مثل المهدية وصفاقس وسوسة، ومن تونس يسير الركب ليصل إلى طرابلس الغرب[1] أين يلتقي جميع الحجاج المغاربة بركب طرابلس الغرب في شهر رجب وهناك يتزودون بالزاد والإبل وبالقرب لحمل الماء ومن ثمة يواصلون السير بمحاذاة الساحل إلى الإسكندرية[2]. وبعد الاستراحة في مدينة القاهرة يجتمع الركب المغربي مع قافلة الحج المصري حتى يأنس بها ذهابا وإيابا عن مكان يقع شمالي القاهرة هو بركة الحاج[3].

وقد كان لكل ركب منهم –أي ركب المغربي والجزائري وتونسي وركب وطرابلس الغرب– أمير الركب خاص بهم ولكنهم عند الانضمام إلى قافلة الحج المصري ينضوون تحت لواء أمير الحج المصري أما عن إعداد الحجاج فكان يصل إلى حوالي أربعة آلاف حاج مغربي[4].

---

(1) سامي عبد الله أحمد الماغوت، أطلس الحج والعمرة تأريخا ووقفا، ط1، مكتبة العبيكان، الرياض، المملكة العربية السعودية، 2010، ص 114.

(2) فرحات، المرجع السابق، ص 53

(3) الملغوث، نفسه، ص 114.

(4) فرحات، نفسه، ص 53.

- **محطات قافلة الحج المصري:**

1. **الربع الأول:** تمتد من القاهرة إلى عقبة آيلة.

تغلب على هذا الدرب قلة الماء والأشجار يشتمل على عدة محطات هي:

- **محطة بركة الحاج**[1]: هي أولى محطات طريق الحاج المصري طريقها فضاء ورمل وبها نخل كثير كانت مدة الإقامة بها خمسة أيام أو أكثر.
- **محطة الدار الحمراء:** هي المحطة الثانية من محطات طريق الحاج المصري ليس بها أشجار ولا ماء بل يأتي إليها الحجاج بالماء من النيل.
- **محطة عجرود:** وهي إحدى المحطات القديمة بين القاهرة والسويس وتقع في الجنوب الغربي من السويس وهي محطة يستريح فيها الحجاج والجمال ويوزع فيها أمير الحج المأكولات، وكان ينصب بها سنويا أثناء موسم الحج سوق كبير[2].

وبعد طلوع شمس اليوم الموالي تهم القافلة بالرحيل ومن ذلك المكان يرجع المريض والمنقطع ومن بقي من المودعين، بعدما تتوجه القافلة إلى مدينة السويس شرق القاهرة، مع مواصلة المسير إلى مكان يسمى النابعة[3] الذي يقول عنه العياشي في رحلته: "وعدلنا عن طريق الحاج التي فيها المصانع يمينا ثم ارتحلنا من النابعة وسلكنا بين الجبال في أودية الرمال وكان الهواء باردا والماء عذبا ولم نبت تلك الليلة حتى توسطنا وادي الخروب، ثم ارتحلنا من هناك وسرنا في الوادي مدة ومررنا بالعقبة المشرفة على التيه بعد طلوع الفجر"[4].

---

[1] بركة الحاج قرية تقع في الشمال الشرقي للقاهرة، سميت بهذا الاسم لنزول الحجاج فيها عند مسيرهم من القاهرة إلى الحجاز في كل سنة، ونزولهم بها عند العودة، ومنها يدخلون إلى القاهرة، أنظر: الرشيدي، حسن الصفا والإبتهاج...، المصدر السابق، ص 20.

[2] سميرة علي عمر، إمارة الحج في مصر العثمانية، المرجع السابق، ص 248.

[3] فرحات، المرجع السابق، ص 65.

[4] العياشي، المصدر السابق، ص 275.

بعد النابعة تمر القافلة بمنطقة العقبة، وهي قرية صغيرة بها منازل بسيطة ونخيل وبساتين وفيها سوق يباع فيه البلح والرمان وغيرها، يبيت الحاج بالعقبة ومنها يتوجه الحاج إلى التيه[1]، ومنه يتوجه الحاج إلى جهة الجنوب حتى يصل إلى محطة النخل وهي محطة مهمة من محطات الحاج المصري، تقع في منتصف الطريق بين السويس والعقبة ومن محطة النخل كانت قافلة الحج المصري تتوجه إلى عراقيب البغلة وهي عقبة يجتاز المسافرون فيها بعض الصعوبات أثناء السير إلا أنها بنيت[2].

2. **الربع الثاني**: يمتد من عقبة آيلة إلى الأزلم.

بعد الخروج من محطة النخل تصل قافلة الحج المصري إلى العقبة وهي قرية صغيرة بها بساتين ونخيل وبها قلعة للحراسة مزودة بمدافع وعساكر ومخازن وينبع منها ماء عذب، يبيت بها الحجاج ويصرف أمير الحج للعرب أصحاب الأدراك[3] مرتباتهم ومن العقبة يتوجه الحاج إلى جهة الجنوب حتى يصل إلى:

- **محطة ظهر الحمار**: التي يكون المسير إليها بمحاذاة البحر في مضيق ضيف بين جبلين تمر منه الجمال جملا جملا، وفي هذه المحطة يتم صرف مرتبات العرب الأدراك الذين يمتد دركهم من محطة ظهر الحمار إلى محطة مغاير شعيب ثم يأتي ركب الحج إلى محطة[4] أخرى.
- **محطة مغاير شعيب**: وفيها نخل كثير وماء جار ثم يسير منها الحاج المصري إلى:
- **محطة عيون القصب**: التي يصل إليها الحاج بعد سير طويل وهي على البحر الأحمر بها ماء جاري عذب وكثيرة القصب[5]، ليصل الحاج إلى:

---

(1) سمي بهذا الاسم لأنه محل مشقة في أيام البرد لشدته وفي أيام الحر لقلة الماء ووقوع العطش، أنظر: علي عمر، إمارة الحج...، المرجع السابق، ص 251. سمي أيضا بتيه بني إسرائيل وهو الموضع الذي ضل فيه موسى عليه السلام وقومه وهي الأرض بين آيلة ومصر الغالب عليه الرمال وفيه مواضع صعبة، أنظر: العياشي، المصدر السابق، ص 279.

(2) علي عمر، إمارة الحج في مصر...، المرجع السابق، ص 251.

(3) الأدراك هي القبائل العربية التي تتولى حراسة قافلة الحج المصري من القاهرة إلى القلعة النخل وكانوا يصحبون القافلة إلى حدود العقبة، انظر: الرشيدي حسن الصفا، المصدر السابق، ص 42.

(4) نفسه، ص 40-41.

(5) محمد بن حسن موسى الشريف، المختار من الرحلات الحجازية إلى مكة والمدينة النبوية، مج الأول، ط1، دار الأندلس الخضراء، جدة، المملكة العربية السعودية، 2000، ص 358.

- **محطة المويلح**[1]: وقبل دخول القافلة إليها يرتب أمير الحج موكبا ثم يدخل المويلح التي يوجد بها قلعة أنشأها السلطان سليم الأول يحرسها بعض الجند[2].

ومن محطة المويلح يمر الحجاج على محطة تسمى:

- **محطة دار أم السلطان أو آبار السلطان:** يمتاز ماؤها بالعذوبة ثم تمر القافلة بممر يسمى شق العجوز الذي يسير جملا جملا إلى أن تصل القافلة إلى أولى محطات الربع الثالث[3]، ولكن قبلها تمر القافلة على:
- **محطة الأزلم:** بعض طريقها رمل بها قلعة وآبار غير صالحة للشرب ويباع عندها السمن والغنم وغير ذلك مما تجلبه العرب منها[4].

3. **الربع الثالث:** يمتد الأزلم إلى الينبع، يبدأ هذا الجزء من:

- **محطة اصطبل عنتر:** وهي فضاء صغير بين الجبال وفيه ثلاث آبار محكمة البناء، بحجر منحوت يتميز ماؤها بالعذوبة وحلاوة المذاق إلا أنه قليل.
- **محطة الوجه:** تقع على الشاطئ الشرقي للبحر الأحمر إلى الشمال.
- **محطة الحوراء:** هي قرية من قرى الحجاز يباع فيها العجوة والمسك وبها الكثير من شجر الآرك يتميز ماؤها بالملوحة.
- **محطة النبط ومحطة الخضيرة:** تقع على مشارف الينبع وليس بها ماء لذلك كان يتعرض الحجاج فيها للعطش الشديد لاسيما في طريق العودة[5].

---

(1) المويلح: تقع على الشاطئ الشرقي للبحر الأحمر من جهة الجزيرة العربية جنوبي العقبة ماؤها مالح ردئ، أنظر: علي عمر، إمارة الحج في مصر...، المرجع السابق، ص 254.

(2) الرشيدي، المصدر السابق، ص 42.

(3) الكاملة فرحات، قافلة الحج المصري إبان...، المرجع السابق، ص 70.

(4) الرشيدي، المصدر السابق، ص 43.

(5) علي عمر، إمارة الحج...، المرجع السابق، ص 256-257.

4. الربع الأخير: من الينبع إلى مكة المكرمة

أولى محطات هذا الجزء هي الينبع التي تمثل ثغر المدينة المنورة تقع شرق البحر الأحمر ليس بها نخيل ولا أشجار ولا آبار عذبة، بها قلعة كبيرة كان يشار إليها باسم قلعة المدينة المنورة، وقبل دخول الينبع ينظم أمير الحج القافلة ويلبس المحمل كسوته ويخرج أمير الينبع والأشراف والعرب لملاقاة الحجيج، ويدخلها الموكب بين التهليل والتكبير، ثم تصرف المرتبات بمعرفة أمين الصرة للعرب والأشراف ويبيت بها الركب ليلة واحدة[1]، ومن الينبع يتوجه الحجاج إلى:

- **محطة سقيفة**: التي تسمى أيضا بدار الوفدة بعدها ينزل الحجاج ببدر والتي غالبا ما كان يلتقي بها الحجاج المصريين بالشاميين[2]، يرتحل الحجاج من بدر إلى قرية تسمى مستيرة وهي قرية في نواحي مكة، ومن مستيرة ينزل الحجاج إلى رابغ[3]، وهي قرية صغيرة بها الكثير من المزارع والنخيل والماء، فيحرم الحجيج هناك في موضع يقال له الحجفة.
- **محطة عسفان**: هي قرية على نحو يومين من مكة بها مياه عذبة ويلي عسفان وادي فاطمة وهو من أودية الحجاز إلى الشمال من مكة ومنه تتجه القافلة نحو مكة المكرمة ثم إلى عرفة ثم إلى منى[4].

بعد أن تحدثنا عن أهم المحطات التي تمر بها قافلة الحج المصري لنتعرف الآن عن أمير الحج الذي يعينه في منصبه هذا باشا مصر في شهر ربيع الأول –بعد المولد النبوي الشريف– فينزل أمير الحج من القلعة بموكب حافل ويبدأ في الإعداد لرحلة الحاج وعندما يقترب موعد خروج القافلة يتوافد على القاهرة المسلمون الراغبون في أداء فريضة الحج من شمال إفريقيا والسودان وحتى من اسطنبول.

---

(1) الرشيدي، المصدر السابق، ص 44-45.

(2) فرحات، قافلة الحج المصري...، المرج السابق، ص 72.

(3) العياشي، المصدر السابق، ص 305-306.

(4) علي عمر، إمارة الحج في مصر...، المرجع السابق، ص 259.

يكون توافد الحجيج على القاهرة في أواخر شهر شعبان ويستمر طوال شهر رمضان، وخلال هذه الفترة يكون أمير الحج قد أتم استعداداته[1] وضبط القوة العسكرية التي سترافق القافلة لحمايتها من هجمات القبائل أثناء مسيرها عبر شمال غرب الجزيرة العربية[2].

وفي النصف الثاني من شهر شوال تكون الترتيبات قد تمت لإعداد القافلة وركب المحمل وكسوة الكعبة المشرفة قد جهزت على أحسن حال[3]، تخرج القافلة في أواخر شهر شوال من كل عام في مدة زمنية مقدارها شهر كامل من القاهرة إلى مكة المكرمة[4].

بعد الخروج من القاهرة يقيم أمير الحج ببركة الحج في خيمة كبيرة وحولها ينصب المسافرون خيامهم يبقى في البركة خمسة أيام وأثناء هذه الفترة يقوم بتنظيم القافلة[5].

وأثناء وجود الحجاج في البركة يكتب كل حاج بيانا ببلده وما معه من الإبل والأتباع وقبل الرحيل ينبه أمير الحاج على الحجاج بالترتيب الذي ستسير عليه القافلة إذ يتقدمها العساكر ثم المدافع المحمولة على العربات ثم الجمال، يليهم طائفة الفراشين والطباخين ليأتي بعدهم أمير الحج ثم أمين الصرة والكتبة ثم المحمل يأتي بعدهم أعيان الحجاج وكبار الشخصيات ثم الحجاج من الفلاحين والعامة وخلفهم تسير الجمال التي تحمل الماء ثم العساكر[6].

- **أهمية قافلة الحج المصري:**

تكمن أهمية قافلة الحج المصري في كونها تحمل معها محمل الكسوة والصرة هي المال الذي كانت ترسله السلطات العثمانية مع أمير الحج المصري ليوزعه على أهالي الحرمين الشريفين وكمرتبات

---

(1) الرشيدي، المصدر السابق، ص 23.

(2) البلوي، العثمانيون في شمال...، المرجع السابق، ص 54.

(3) الرشيدي، نفسه، ص 32.

(4) البلوي، نفسه، ص 54.

(5) الرشيدي، نفسه، ص 33.

(6) نفسه، ص 34.

لشيوخ القبائل والأشراف[1]، هذا ما جعلها عرضة للعديد من الاعتداءات لهذا نشأت الدولة العثمانية العديد من الوسائل نذكر منها:

- زيادة الفرقة العسكرية المصاحبة للقافلة والرفع من مستواها.
- استمرار صرف رواتب الأعراب المشاركين في الحراسة على طول الطريق من القاهرة إلى مشارف مكة.
- ترميم الحصون التي كان قد أنشاها السلطان المملوكي الغوري في كل من عجرود والعقبة والسويس وزيادة الحراسة فيها.

ومن الإجراءات التي استحدثت في العهد العثماني لخدمة الحجاج على الدرب المصري ما عرف بـ: **سحابة الفقراء:** وهي مساعدات قرر السلطان سليمان القانوني تقديمها لفقراء الحجاج الذين يتبعون القافلة منذ سنة 938هـ/1531م تشمل جمال الركوب وخيمة يجتمعون فيها حين نزول في الاستراحات وتقدم لهم وجبات الطعام[2].

أما فيما يخص الاحتفالات المصاحبة لخروج المحمل فقد كان يعلن عنه قبل موعده بأيام لدعوة الشعب للمشاركة فيه، فيقوم أرباب الحوانيت التي سيمر بها المحمل بتزيينها وفي يوم مرور الموكب يحتشد الكثير من أهالي القاهرة لمشاهدة ركب المحمل الذي توضع فيه الكسوة الثمينة على جمل مزين وتصحب الموكب فرق الموسيقى، بعدها ينزل الباشا من قلعته وسط هتافات سكان القاهرة ومعه عدد كبير من الباكوات ورجال الأوجاقات العسكرية، وآغا الانكشارية وكبار موظفي الولاية لتسليم الكسوة الشريفة إلى أمير الحج[3]، وقبل الإحتفال يوم تنقل الكسوة وستار باب الكعبة ومقام سيدنا إبراهيم إلى باشا مصر الذي يزنها ويقدر قصبها وحريرها ويحاسب ناظر الكسوة وفي اليوم التالي تخرج الكسوة من القصر الذي صنعت فيه، فتسير أولا حبال الكعبة الشريفة ثم كسوة البيت الشريف السوداء يحملها المغاربة وهم يرددون "لا إله إلا الله" أما الكسوة فقد طرزت بعبارة "لا إله إلا الله"

---

[1] البلوي، المرجع السابق، ص 57.

[2] كشميري، المرجع السابق، ص 357.

[3] الرشيدي، المصدر السابق، ص 32-33.

مصنوعة من الحرير الأسود وقد نقشت على حافتها الآية الكريمة: ﴿ فِي بُيُوتٍ أَذِنَ ٱللَّهُ أَن تُرۡفَعَ وَيُذۡكَرَ فِيهَا ٱسۡمُهُۥ﴾ النور: ٣٦ [1]

بعد أن تسلم الكسوة إلى أمير الحج تحرر حجة بذلك وتمر الكسوة إلى أن تصل إلى معسكر الحجاج حيث توضع في صندوق مغطى بأقمشة فاخرة مطرزة تطريزا جميلا ويلي ذلك احتفال آخر يكون في خيمة أمير الحاج في البركة لتسليمه الصرة الإرسالية والصرة الرومية المرسلتين إلى أهالي الحرمين الشريفين، والصرة الرومية هي الأموال النقدية والغلال المتحصلة من الأوقاف السلطانية[2].

[1] أوليا حلبي، سياحة نامة مصر، تر محمد علي عوني، تق أحمد فؤاد متولي، د.ط، مطبعة دار الكتب والوثائق القومية، القاهرة، مصر، 2003، ص 530-531.

[2] الرشيدي، المصدر السابق، ص 20-30.

المطلب الثالث: قافلة الحج العراقي:

كانت القافلة الحج العراقي تضم حجاج العراق[1] وبلاد فارس[2] والخراسانيين والأعاجم الذين لا يحصى عددهم[3]، فكانوا يخرجون بعد طواف الوداع إلى بطن مرّ والمراد مرّ الظهران يسرون سير السحاب المتراكم فمن خرج عن الركب لحاجة ولم تكن له علامة يستدل بها على موضعة ظل عنه لكثرة الناس. حاملين معهم أسواقا من أنواع الأطعمة والفواكه يصحبها التجار ومعهم فإذا حطت القافلة في موضوع نصب السوق وقام الشراء والبيع[4].

إضافة إلى الموظفين المخصصون لخدمة القافلة ومن الإداريين مثل الدودار وهو مساعد أمير الحج[5] وكاتبه، وأمير آخور مسؤول عن تأمين ورعاية الدواب الناقلة للقافلة.

وهناك موظفون ماليون منهم المحاسبون وأمناء الصرر ومأمورو المستودعات ومهمتهم كتابة ما يرد من المشتريات للقافلة وتقيد المنصرف وموظفون عسكريون مهمتهم حراسة الحجاج المسافرين وحماية ما يصاحب القافلة من أموال للتجارة وصرر المساعدات الحكومية.

ويعمل في القافلة أيضا عدد من العلماء، منهم قاض للفصل في النزاعات وفلكيون وأئمة ومؤذنون. ومن الحرفيين المصاحبين للقافلة، طباخون، نجارون، وعمال يقومون بأعمال مختلفة منهم الفراشون[6] والسقاؤون وموزعي الطعام[7].

يسير الحجاج ليلا ونهارا وكانت العادة أن يضاء هذا المركب بالمشاعل حتى تتبين ضخامته فتتفاداه اللصوص ثم فإن الضوء أنس كانت القافلة في حاجة إليه[8].

---

(1) عبد العزيز الشاوي، المرجع السابق، ص 60.

(2) البلوي، المرجع السابق، ص 39.

(3) حسن مؤنس ابن بطوطة، ورحلاته تحقيق ودراسة وتحليل دائرة المعارف القاهرة، 2003، ص 77.

(4) نفسه، ص 80.

(5) وهو قائد الركب، أنظر: الملحق رقم 7 ، ص 135.

(6) انظر الملحق رقم 8، ص 136.

(7) الجزيري، المصدر السابق، ص 285-286.

(8) مؤنس، المصدر السابق، ص 80.

ولم تكن قوافل الحج العراقي منتظمة والسبب في ذلك سوء أحوال العراق الداخلية الذي نجم عنه تسلط القبائل بكثرة على طريق هذه القوافل مما دفعها للانضمام إلى قوافل الحج الشامي في بعض الأحيان[1].

كانت تسلك قافلة الحج العراقي عدة طرق من أجل الوصول إلى الديار المقدسة في الحجاز منها:

1. طريق بغداد–مكة المكرمة.
2. طريق البصرة–مكة المكرمة.
3. طريق خرسان (حلوان بغداد) مكة المكرمة[2].

وسنشرح تلك الطريق بشكل تفصيلي:

1. **طريق بغداد:** يعد هذا الطريق من أهم طرق الحج والتجارة خلال العصر الإسلامي، وقد اشتهر باسم (درب زبيدة) نسبة إلى السيدة زبيدة زوج الخليفة هارون الرشيد، وابنة عمه أبي جعفر المنصور التي جعلت فيه منافع ومرافق[3] وأسهمت في عمارته فكان أن خلد ذكراها على مر العصور. يبلغ طول الطريق من الكوفة إلى المدينة المنورة ثم مكة المكرمة عبر شمال شرق الجزيرة العربية نحو 1300 كلم معظمها في الصحراء[4]. فكان الركب يتجه من العراق إلى المدينة المنورة عبر سبعا وعشرين محطة رئيسية ومثلها ثانوية تسمى كل منها (متعشى) وهي إستراحة تقام بين كل محطتين رئيسيتين، ويمكن رصد المحطات الرئيسية والمنازل الواقعة [5]على طول الطريق على النحو التالي: الكوفة، القادسية، العذيب، وادي السباع، المغشية، مسجد سعد، القرعاء، الطرف، واقعة، القبيات، العقبة، الحلحاء، قاع الجريسي، زبالة[6]، التنانير، الشقوق، ردان، البطان، المحمية، الثعلبة، الغميس،

---

(1) للمزيد أنظر: البلوي، المرجع السابق، ص 40.

(2) علي كامل حمزة سرحان، قافلة الحج العراقي وأهميتها في العهد العثماني، محلية كلية النزهة الإنسانية، عدد2، جامعة بابل، حزيران 2013، ص 89.

(3) محمد رفعت أحمد زنجير في الطريق إلى مكة المكرمة، مجلة كان التاريخية، العدد 10، ديسمبر 2010، ص 88.

(4) البلوي، المرجع السابق، ص 84.

(5) الجزيري، المصدر السابق، ص 72.

(6) البلوي، نفسه، ص 78.

الخزيمة، بطن الأعز، الأجفر، القرائن، فيد، القرنتين توز، الفحمية، السمراء[1]، العباسية، الحاجز، قروي، معدن النقرة، السمط، مغيثة الماوان، أريمة، الزبيدة، الروثة السليلة، أضبة، شروى، العمق، معدن بني سالم، عقبة الكراع، الكرانة، أفاعية، الكبوانه، المسلح، قصر الغمرة، أوطاس، ذات عرق، غمر، بستان بني عامر، منتاس، مكة المكرمة[2].

وهذا ما يتعلق بالمسار الرئيسي الطريق الذي يتجه إلى مكة وهناك مسارات فرعية أخرى منها طريق معدن النقرة، المدينة، ويبلغ طوله 265 كلم وأهم محطاته معدن النقرة، العسيلة المحدث بطن نخل الحصيلة المكحولين، السفرة، الطرق الركابية، المدينة.

2. **طريق البصرة:** كان هذا الطريق بمثابة الطريق الاحتياطي لطريق بغداد مكة يبدأ هذا الطريق من مدينة البصرة إذ كانت مركز لتجمع القوافل من الاقاليم المحيطة بها فبعد أن يتم الاستعداد والتجهيز تغادر القافلة البصرة[3] متجهة إلى مكة المكرمة قاطعة مسافة حوالي 12000كلم[4] عبر المحطات التالية: المنجشانيه وهي أول منازل هذا الطريق ومنها تتجه القافلة إلى أرض صحراوية حتى تصل الحفير ومن الحفير تنتقل إلى الرحيل وثمة إلى الشجي[5] وهذه المحطات أربع تقع حاليا ضمن حدود الأراضي العراقية والكويتية[6] ثم الخرجاء ثم إلى جعفر أبي موسى ثم ماويه ماويه ثم ذات عشر ثم اليسنوعة ثم مسقط الرمل ثم السمينة ثم النياح ومنها يتفرع الطريق الذي تسلكه القافلة الراغبة في التوجه إلى المدينة المنورة إذ يلتقي مع القافلة القادمة من الكوفة في معدن النقرة.

أما القافلة المتجهة إلى مكة فبعد مغادرتها النياح تصل العوسجة ثم تتجه إلى القريتين وفيها يلتقي طريق البصرة مكة بطريق اليمامة مكة ومن القريتين تصل القافلة إلى رامة وبعدها إلى أمرة ثم

---

(1) سرحان، قافلة الحج العراقي...، المرجع السابق، ص 90.

(2) زنجير، في الطريق إلى مكة...، المرجع السابق، ص 89.

(3) سرحان، نفسه، ص 91.

(4) زنجير، نفسه، ص 89.

(5) سرحان، نفسه، ص 91.

(6) زنجير، نفسه، ص 89.

طحفة وبعد مغادرة طحفة تصل ضربه وفيها تلتقي قافلة الحج القادمة من البحرين عبر اليمامة بقافلة الحج القادمة من البصرة ثم يأتي منزل جديلة ومنها فلجة وبعد مغادرة القافلة للمدينة المذكورة تواصل سيرها حتى تصل إلى موضعين يقال لهما سوارج والزجيج تنزل القافلة عندها لأخذ قسط من الراحة ولتزود بالمياه قبل الوصول إلى الديثة بعدها إلى قبا ثم الشيكة وبعد مغادرة الشيكة تصل القافلة إلى وحرة[1] ثم ذات عرق وهو ميقات حجاج أهل البصرة حيث يحرمون فيها ثم يتوجهون إلى بستان بني عامر مكة المكرمة حيث بيت الله الحرام[2].

3. **طريق خرسان مكة:** يعد هذا الطريق من الطرق المهمة التي تربط أقاليم الشرق الإسلامي ببغداد والذي أصبح مسلكا لقوافل الحجيج القادمة من الأقاليم الشرقية المتوجهة إلى مكة المكرمة عبر بغداد يبدأ هذا الطريق من مدينة حلوان والتي تعد أول مدينة العراق في طريق خرسان إذا كان الحجاج القادمون من المشرق يتجمعون فيها لغرض التوجه إلى بغداد ومنها تتجه القافلة الحج إلى قصر شيرين وهي أرض جبلية تحفها الجبال والوديان ومنها تسير القافلة في طريق يخترق سلسلة جبال لتصل إلى مدينة جولاء ومنها تتجه القافلة نحو مدينة الدسكرة ومن الدسكرة تسير القافلة في أرض زراعية وقرى مأهولة بالسكان وصولا إلى ديرتيرمة وبعد الدير تصل القافلة إلى مدينة نهروان وبعد مغادرة مدينة نهروان تتجه القافلة إلى مدينة بغداد لتصل إليها بعد أن تقطع مسافة 12 ميلا، حيث يتم استقبال قافلة الحج القادمة من المشرق إلى جانب الشرقي من بغداد إذ عدت لهذا الغرض عدد من الخانات التي ينزلها المسافرون لأخذ الراحة وانتظار اكتمال تجهيز قافلة الحج العراقي للتوجه بعد ذلك إلى الديار المقدسة في الحجاز[3].

---

[1] سرحان، المرجع السابق، ص 91.

[2] الصفصافي أحمد القطوري، قوافل الحج في العصر العثماني http://wwwottomanarachifves.info 2010/010/09، ص 3.

[3] سرحان، نفسه، ص 90.

- **أهمية قافلة الحج العراقي:**

نظرت الدولة العثمانية إلى الحج باعتباره ركنا أساسيا من أركان الدين الإسلامي وأن واجب عليها تسير الحج أمام الراغبين في أداء هذه الفريضة ولهذا تولت الدولة العثمانية تنظيم الحج إلى الحجاز واشرف عليه واعتبرت هذا العمل واجب يقع على عاتقها هذا من جانب[1]، أما من جانب آخر احتواء قافلة الحج العراقي على أغلب المذاهب الإسلامية[2].

استفادة الحجاز من العراق فوائد مادية كثيرة فنلاحظ أن واردات العراق المالية الفائضة أي ما كان يعرف بالخزينة الإرسالية التي كانت تدفع للسلطان العثماني، قد انتقل القسم الأعظم منه إلى الحجاز، ولم يتبق للعراق منها سوى جزء بسيط، فضلا عن ذلك فقد كان يفرض على كل حاج أن يدخل الديار المقدسة أن يدفع إلى خزينة الأشراف في الحجاز مبلغا من المال، كما أن عدم تسيير قافلة الحج العراقي سنويا بسبب الجفاف أو المجاعة أو الحصار ينعكس سلبا على أهالي الحجاز وأشرفها على حد سواء.

أن قافلة الحج العراقي تعد أحد الوسائل المهمة في التبادل العلمي بين علماء العراق وعلماء البلاد الإسلامية الأخرى وخصوص علماء بلاد فارس الوافدين للحج، كما كان الحج أعظم طريق لنشر الثقافة في الحجاز إذ كان يلتقي فيه العلماء من جميع أنحاء الأمة الإسلامية[3].

كذلك تعد أحد الوسائل المهمة في التبادل التجاري بين العراق والحجاز اعتبرت الدولة العثمانية انفرادها بأعداد القوافل الحج الأربعة كل سنة مظهرا من مظاهر قوتها السياسية وتأكيد لزعامة السلطان العثماني[4].

---

(1) البلوي، المرجع السابق، ص 59.

(2) سرحان، المرجع السابق، ص 86.

(3) نفسه، ص 102.

(4) سرحان، نفسه، ص 86.

المطلب الرابع: قافلة الحج اليمني:

كانت قافلة الحج اليمني تضم حجاج اليمن والهند وماليزيا[1] واندونيسيا[2] وينظم إليهم حجاز الحبشة والصومال والأفارقة الذين يصلون إلى مصوع وسواكن وموانئ اليمن[3].

وتحتوي القافلة أيضا على عناصر مختلفة فبعضها الأمراء الأثرياء والتجار ومعهم تجاراتهم، والفقراء والمعدمون وكان كل حسب قدرته يرافق القافلة ففيها الهودج وفيها الجمال والخيول وفيها الرجالة من البدو والفقراء. وقد كان الولاة يقومون بالاستئجار الجمال والخيول لحمل مهمات القافلة، ويتعاقدون على ذلك قبل موسم الحج بوقت كاف ويتفقون على ذلك مع مشاريع الأعراب والبدو الذين يقطنون في مناطق التي تسلكها القوافل[4].

- **طرق قافلة الحج اليمني:**

الطريق اليمني: هناك اتصال بين اليمن والحجاز منذ العصور القديمة لذا فقد تعددت طرق اليمنية[5] واختلفت مسارها وتعددت كذلك المدن التي تسير منها ولعل أهم العواصم اليمنية التي كانت تنطلق منها جموع الحجاج اليمنية إلى مكة وهي عدن، وتعز، وصنعاء وزبيدة وصعدة في شمال اليمن وكانت بعض مسارات تلك الطرق يلتقي بعضها ببعض في نقاط معينة مثل طريق تعز، زبيدة[6]، وقد اشتهر اشتهر من طرق الحج اليمنية إلى مكة ثلاث طرق هي:

1. الطريق الساحلي 2. الطريق الداخلي الأوسط 3. الطريق الأعلى

ولكل منها مساراته ومحطاته ومشقاته التي عانى منها الحجاج قرون طويلة.

---

(1) الشناوي، المرجع السابق، ص 59.

(2) كشميري، المرجع السابق، ص 370.

(3) الصفصافي، المرجع السابق، ص 01.

(4) نفسه، ص 01.

(5) علي جلال، طرق الحج ومرافقه...، المرجع السابق، ص 132.

(6) لغز: بفتح اللام وبكسر الغين قلعة عظيمة من قلاع اليمن، ياقوت، معجم البلدان، ج2، ص 229.

1. **الطريق الساحلي**: يمر بجوار البحر محاذيا له من الشرق ويبدأ من عدن فأبين مرورا بالمخنق، فإلى عارة ثم عبرة فالسقيا، فباب المندب فسمارى ثم الخوخة والأهواب وغلافقة[1] وهي فرضة زبيدة ثم نبعة فالحردة ثم الزرعة ثم الشرجة وهي أولى مراحل طريق الحج اليمني الساحلي التي تقع في أراضي المملكة العربية السعودية. ويسير الحاج اليمني من الشرجة إلى المفحر فإلى الفنيدرة ثم عثر ثم بيض ثم الدويمة ثم حمضة ثم ذهبان حلي ثم قرما فدوقة إلى السرين[2] وهي ملتقى طريق الساحل مع طريق الداخل ومنها يفترقان أيضا كل في جهته حيث سير الساحلي صوب الليث فالشيعة إلى جدة ومنها إلى مكة المكرمة.

2. **الطريق الداخلي**: يعرف بطريق تهامى ويعرف باسم الجادة السلطانية يبدأ من تعز ويمر بذات الخيف فموزع ثم الجدون ثم حيس ثم زبيد وهي ثاني عاصمة في اليمن الأسفل بعد تعز، إذ تتجمع فيها قوافل التي تسلك طريق الجادة السلطانية، ومنها تنطلق في سيرها إلى مكة المكرمة مارة بفشال والضنجاع والقحمة[3] والكدراء والمهجم[4]، ومور والواديين والساعد وتعشر وجازان والهجر وبيش إلى إلى صنكان ومنها يتجه الطريق إلى المقعد فحلي العليا ثم بيه ثم قنونا ثم عشم ثم دوقة فإلى السرين، حيث يلتقي بالطريق الساحلي ومنها يفترق في مساره الداخلي إلى الليث فالخضراء ثم سعيا، فيلملم ميقات أهل اليمن ومنها مكة المكرمة[5].

3. **الطريق الأعلى**: فيعرف باسم الطريق الجبلي ومركز انطلاق هذا الطريق هو صنعاء ومنها يتجه الطريق إلى صعدة ومنها إلى العرقة ثم المهجرة ثم أرنيب ثم سروم الفيض ثم التحه ثم بيشة إلى تبالة فالقريحاء ثم كرى ثم تربة ثم الصفن ثم العنق ثم رأس المناقب وهي منتهى الطريق في اتجاه الشمال،

---

(1) زنجير، الطريق إلى مكة...، المرجع السابق، ص 89.

(2) ميناء على البحر الأحمر ومحطة تلتقي وتفترق عندها طرق التجارة والحج بين اليمن ومكة المكرمة وتقع السرير على بعد جوالي 11 كيلو متر إلى المحطات الدبية على الطريق الحديث بين مكة وجيزان، علي جلال، المرجع السابق، ص 145.

(3) بلدة قرب فرضة زبيدة وهي قصبة وادي زوال وهو على شاغرة وفيها خولان وهندان، ياقوت: معجم البلدان، ج2، ص 311.

(4) الجزيري، المصدر السابق، ج2، ص 82.

(5) زنجير، المرجع السابق، ص 91.

ومنها ينحدر في سيره صوب الغرب إلى قرن المنازل وهو ميقات أهل اليمن الذين يمرون في تلك الجهة ويتجهون محرمين صوب مكة مجتازين الزيمة والطائف عن طريق السيل[1] وكان الكثير من أهل اليمن يجيئ في البحر[2] خشية من تعديات الأعراب[3].

[1] زنجير، المرجع السابق، ص 91.

[2] الجزيري، المصدر السابق، ص 53.

[3] كشميري، المصدر السابق، ص 370.

المبحث الثالث:

تأمين الدولة العثمانية وحمايتها للحج.

المبحث الثالث: تأمين الدولة العثمانية وحمايتها للحجاج وقوافلهم.

المطلب الأول: خدمات العثمانيين لتأمين الحج.

1. المنشآت المائية.
2. الخدمات المقدمة للحجاج.
3. الخط الحديدي الحجازي 1318هـ-1326هـ/1900م-1908م.

المطلب الثاني: دور الدولة العثمانية في حماية الحجاج وقوافلهم.

1. التصدي للهجمات الخارجية.
2. حماية قوافل الحج.

المطلب الثالث: رعاية العثمانيين للحرمين المكي والمدني.

1. ترميم الكعبة المعظمة والمسجد الحرام.
2. الملحقات المباركة الخاصة بالكعبة.

المطلب الأول: خدمات العثمانيين لتأمين الحج.

سعت الدولة العثمانية جاهدة لتأمين الحج وذلك من خلال توفير وسائل الراحة للحجاج، فقد اختلفت هذه الوسائل وتعددت من بينها إقامة المنشآت المائية في الحرمين الشريفين وعلى طرق الحج إضافة إلى استحداث استراحات على طول طرق قوافل الحج.

1. المنشآت المائية:

نظرا لطبيعة مكة المكرمة التي تقع ضمن النطاق الصحراوي الأكثر جفافا في العالم، فإن معدل هطول الأمطار السنوي عليها قليل جدا فقد اعتبرت أمطارها نموذجا للأمطار الصحراوية التي عرفت بالتذبذب الشديد في كمياتها وأوقات نزولها، فهي إما تكون فجائية وذات كثافة عالية قد تتسبب في حدوث فيضانات عنيفة على شكل سيول جارفة وإما تتوقف فلا تهطل إلا يوما واحدا في السنة أو لعدة أيام لكن بكميات قليلة، لهذا فإن مسألة توفير المياه بالحرمين الشريفين وعلى طرق الحج كانت موضع اهتمام المسلمين، أما في العهد العثماني فقد زاد هذا الاهتمام من خلال صيانة مصادر المياه الموجودة وحفر آبار جديدة[1].

أ. في الحرمين الشريفين:

سعى العثمانيون لتأمين المياه في مكة المكرمة والمدينة المنورة فقاموا بتطهير وتنظيف الآبار والعيون[2]، ففي الجاهلية وصدر الإسلام كان الحصول على المياه الجوفية يكون عن طريق حفر الآبار أهمها بئر زمزم، وكان الأمويون أول من أجرى إلى مكة مياه العيون بأن مدوا صنابير من العيون الموجودة داخل حدود الحرم وأوصلوها إلى برك بنيت في مناطق مختلفة بمكة كما عملت خزانات لتجميع المياه فيها لحين الحاجة[3].

---

[1] كشميري، المرجع السابق، ص 234.

[2] بيومي، مخصصات الحرمين...، المرجع السابق، ص 275.

[3] كشميري، نفسه، ص 235-236.

وفي بداية العصر العباسي حدثت أزمة نقص مياه حادة، فتطوعت السيدة زبيدة ابنة الخليفة أبو جعفر المنصور وزوجة الخليفة هارون الرشيد بإنشاء مشروع ضخم لتوفير أكبر كمية ممكنة من المياه لخدمة البلد الحرام وقاصديه، فاهتمت ببناء دور السبيل بمكة وإنشاء البرك وحفر الآبار بها ومهدت الطريق حتى أوصلت الماء إلى مكة المكرمة[1]، فتشكلت بذلك عشرة عيون أهمها عين حنين التي كانت تحمل الماء إلى مكة وعين عرفة التي كان يستفيد من مائها في عرفة ومشاعرها[2].

لقد كانت خدمات العثمانيين في مجال توفير المياه لمكة المكرمة مستمرة طوال عهد حكمهم لكن أبرز أعمالهم تجلت في ترميم العيون والآبار منها:

- **عين زبيدة:**

تم اصلاح عين زبيدة في عهد السلطان سليمان القانوني 927هـ-974هـ/1520م-1566م، وقام بتوصيل مائها من عرفات إلى مكة المكرمة على نفقته الخاصة[3]، غير أن عين زبيدة تعرضت لفيضانات وعواصف رملية مما ادى إلى عدم استعمالها، فبادر شريف مكة سنة 970هـ/1562م بإرسال خطاب إلى عاصمة الدولة العلية أكد فيه على ضرورة إصلاح هذه القنوات فقررت السلطانة مهرماه[4] التكفل بالأمر وأن لا تحمل ميزانية الدولة أي أعباء فتبرعت في سبيل هذا العمل بمبلغ خمسين ألف قطعة ذهبية ومن خلال هذا الإصلاح الذي قامت السلطانة مهرماه فإن كمية المياه التي تم إيصالها إلى مكة المكرمة قد زادت بشكل ملحوظ وذلك بفضل الآبار التي تم توصيلها بهذه القناة،

---

[1] راغب السرجاني، روائع الأوقاف في الحضارة الإسلامية، ط1، شركة نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، الجيزة، مصر، اغسطس، 2010، ص 99.

[2] كشميري، المرجع السابق، ص 236.

[3] مخلوف، الخدمات والمرافق...، المرجع السابق، ص 165.

[4] مهرماه سلطان ابنة السلطان سليمان القانوني من زوجته خرم سلطان في ضواحي اسطنبول، أنظر: مخلوف، نفسه، ص 236.

كما تم عمل سبل متنوعة في مكان بمكة المكرمة[1]، حيث يقول عنها العياشي: "إنها تدل على عظمة وفخامة سلطان آل عثمان وعظم اعتنائهم بأمر الحرمين"[2].

وفي عهد السلطان عبد الحميد الثاني 1227هـ-1293هـ/1876م-1909م تم تعمير عين زبيدة تعميرا كبيرا، جمعت له التبرعات من مختلف أنحاء العالم الإسلامي، إضافة إلى إنشاء عيون ماء في المنطقة المحيطة بالحرم الشريف وتزويدها بصنابير متعددة ليتوضأ منها الحجاج وكذلك توصيل المياه إلى مستشفى الفقراء[3].

- **عين حنين وعين عرفة:**

انقطعت عين حنين عن مكة المشرفة في أوائل حكم العثمانيون كان لها خسائر أهل مكة يستقون من آبار حول مكة يقال لها العسيلات ومن آبار في أسفل مكة في مكان يقال له الزاهر كذلك انقطعت عين عرفات وتهدمت قنواتها فأصبح الحجاج يحملون الماء إلى عرفات من الأمكنة البعيدة حتى أصبح فقراء الحجاج لا يطلبون في يوم عرفة شيئا غير الماء لعزته[4]، غير أن الوضع لم يستمر هكذا فقد شجع العثمانيون المبادرات الفردية لصيانة وترميم عين حنين وعين عرفات فأشرف الشيخ محمد بن عراق على إعادة إجرائها بتنظيم قنواتها وترميمها فكفأته الدولة العثمانية بمبلغ مالي تعويضا لما صرفه[5].

كما قام السلطان سليمان القانوني بإجراء عين عرفات وعين حنين وعين لها ناظرا اسمه مصلح الدين مصطفى من المجاورين لمكة فبذل جهده في عمارتها وإصلاح قناتها إلى أن أصبحت عين

---

[1] جان ألبجونج، السلطانتان...، المرجع السابق، ص 236.

[2] عواطف نواب، كتب الرحلات...، المرجع السابق، ص 370.

[3] مخلوف، الخدمات والمرافق...، المرجع السابق، ص 167-168.

[4] عبد الله الغازي المكي الحنفي، إفادة الأنام...، ج2، المصدر السابق، ص 309.

[5] كشميري، المرجع السابق، ص 237.

حنين إلى أسفل مكة وأجرى عين عرفات إلى أن صارت تملء البرك بعرفات وذلك سنة 931هـ/1524م[1].

ثم اشترى مصلح الدين مصطفى ناظرا العين عبيدا سودا وأجرى عليهم الأطعمة من خزائن السلطنة وأناط بهم خدمة العين وإخراج الأتربة من الجداول والقنوات[2]، استمرت عين الحنين جارية إلى مكة لكنها تقل تارة وتكثر تارة أخرى بحسب قلة الأمطار وكثرتها، ثم قلت الأمطار إلى أن جفت العيون وكان ذلك سنة 965هـ/1557م، وما بعدها فانقطعت العيون إلا عين عرفات فإنها لم تنقطع إلى أن قل جريانها[3]، ولما عرض أمر العيون على السدة السلطانية السليمانية صدر امر بإصلاح ذلك فأجمع أهل مكة وقاضيها وشيخ الحرم ووالي جدة على أن اقوى العيون عين عرفات وعقدوا الهمة على توصيل الماء من بئر زبيدة غير أن العمل لم يستكمل في عهد السلطان سليمان القانوني وفي سنة 179هـ/1571م استكمل العمل وتولاه ناظرا الحرم المكي حتى أتم عمل القناة في خمسة أشهر بعد مدة عشر سنوات قام بها الأمراء في عهد السلطان سليم الثالث[4].

إضافة إلى هذا فقد وجدت مجموعة من العيون بالقرب من عين حنين وعين عرفات منها: عين المحمدية، العين المسعودية، والعين اليونسية وعين الحسينية[5].

- **الآبار والسقايات:**

كان الحصول على المياه في مكة المكرمة يمول عن طريق حفر الآبار من أهمها:

---

(1) الصباغ، تحصيل المرام...، المصدر السابق، ص 614.

(2) بيومي، المرجع السابق، ص 176.

(3) عبد الله الغازي المكي الحنفي، المصدر السابق، مج2، ص 311.

(4) بيومي، نفسه، ص 376.

(5) علي ابن عبد القادر الطبري، الأرج المسكي في التاريخ المكي وتراجم الملوك والخلفاء، تح، وثق، أشرف أحمد الجمال، ط1، المكتبة التجارية، مكة المكرمة، المملكة العربية السعودية، 1996، ص 85.

- **بئر زمزم:**

ترجع هذه البئر إلى زمزم إسماعيل عليه السلام فهي سقيا الله تعالى له، وسيظل إلى يوم القيامة إن شاء الله[1]، يبلغ عمق هذه البئر ستين ذراعا وفي قعرها ثلاث عيون: عين حذاء الركن الاسود، وعين حذاء أبي قبيس والصفا، وعين حذاء المروة[2].

اهتمت الدولة العثمانية ببئر زمزم فقد لقي العديد من الإصلاحات ففي سنة 933هـ/1526م عمل لدائر بئر زمزم طراز وكتب فيه اسم السلطان سليمان القانوني، وفي سنة 948هـ/1541م حدد البئر ووضع على سقفه مظلة مسقوفة بالخشب المزخرف وفي وسطه قبة مصفحة بالرصاص، وفي سنة 1020هـ/1611م وضع بأمر السلطان أحمد خان شبكة من الحديد بداخل البئر منخفضة عن سطح الماء بمتر صيانة له، كما حدد في عهد السلطان عبد الحميد الاول سنة 1206هـ/1786م[3].

كان يمتد من هذه البئر سقاية العباسي[4] التي كانت تمتلئ بالماء ليسقي الحجاج وقد فرض لخدمتها ناظر يعين على يد ناظر دار السقاية وفرض للسائقين في بئر زمزم مرتبات متعددة لمجموعة من الأفراد ضمن ما خصص لأهالي مكة المكرمة من ذلك ما فرض لشيخ الزمازمة حيث فرض له مبلغ قدره 510 بارة[5].

---

(1) بيومي، المرجع السابق، ص 377.

(2) عبد الله محمد بن إسحاق ابن العباس الفاكهي المكي، أخبار مكة في قديم الدهر وحديثه، تح، عبد الله بن عبد الله دهيش، ج2، ط2، دار خضر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، 1994، ص 74.

(3) بيومي، نفسه، ص 377.

(4) سقاية العباس بن عبد المطلب رضي الله عنه، طولها أربعة وعشرون ذراعا، أنظر: الفكاهي، المصدر السابق، ص 83.

(5) بيومي، نفسه، ص 37.

كان إلى جانب زمزم خلوة فيها بركة للماء تملأ من زمزم يشرب منها الداخل إلى الخلوة، ومن الآبار نجد أيضا الآبار الموجودة بأربطة السلطان سليمان القانوني في كل رباط بئر إضافة إلى بئر آخر في بستانه بسوق المعلى[1].

- **السبل والبرك:**

كان هناك العديد من السبل منها سبيل السلطان قانصو الغوري وسبيل السلطان قايتباي بالمسعى[2]، أما في العهد العثماني فقد أنشئ عدد كبير منها وزودت بمياه من العيون أو بحفر آبار قريبة منها.

ففي سنة 981هـ/1573م أمر الوزير سنان باشا بإنشاء سبيل بمكة المكرمة وأجرى إليه الماء من بئر هناك وجعل ما بينها وبين السبيل ساقية يصب فيها الماء من بئر هناك وجعل ما بينها وبين السبيل ساقية يصب فيها الماء حتى يصل إلى السبيل ينتفع منه الحجاج وعين لها مصروفا من ريع أوقافه بمصر[3].

كما قام السلطان مراد الثالث 982هـ-1004هـ/1574م-1595م ببناء سبيل في الصفا وأمر ببناء سبيل آخر سنة 995هـ/1586م بالقرب من باب السلام[4].

أما زوجات السلاطين فقد كانت لهم إسهامات في هذا المجال منهن خرم سلطان زوجة السلطان سليمان القانوني التي أنشأت سبيلا في المسجد الحرام عرف بسبيل خاصكية[5]، أما صفية

---

(1) الطبري، المصدر السابق، ص ص 86-91-92.

(2) عبد الله الغازي المكي، إفادة الآنام...، المصدر السابق، مج2، ص 365.

(3) نفسه، ص 365-366.

(4) كشميري، المرجع السابق، ص 246.

(5) الطبري، نفسه، ص 82.

سلطان زوجة السلطان مراد الثالث فقد أنشأت سبيلا هي الأخرى بمكة المكرمة، وأنشأ داود باشا والي مصر سبيلا بالقرب من مدرسته وحفر له بئرا عرف بالداودية[1].

أما البرك فهي بركتان بمعلا إحداهما تعرف بـ: بركة المصري والثانية هي بركة الشامي تملآن من العيون الواصلة إلى مكة لأنها في مجراها وفي الغالب أن ملأهما إنما يكون في شهر رمضان حيث يقرب زمن وصول الحجاج إلى مكة المكرمة[2].

هذا بالنسبة إلى مكة المكرمة أما المدينة المنورة فقد اشتهرت بكثرة آبارها وعيونها لذا أقيمت فيها السقايات والبرك وأسبلة الماء في أماكن كثيرة منها، فقد تحدث العياشي عن عين الأزرق بالمدينة المنورة فذكر أن منبعها بئر كبيرة وذكر أنه قد أنشئ لهذه العين قنوات تحت الأرض محكمة البناء وقسمت إلى مناهل فأدخل إلى المدينة ما يحتاج له من الماء على شكل جداول متعددة[3].

أما الآبار فقد كان هناك العديد منها أبرزها بئر أريس غربي مسجد قباء إضافة إلى بئر "حا" فهذا البئر وبئر "أريس" من زمن النبي عليه الصلاة والسلام[4].

ب. المنشآت المائية على دروب الحجيج:

اهتم العثمانيون بتوفير مصادر المياه على طول طرق الحج ويتجلى هذا الاهتمام في تجهيز الآبار والسواقي لإستخراج الماء، فقد قام الأمير بيري بيك بتعمير الطريق في مواسم سنة 1004هـ-1011هـ/1595م-1602م، جملة من الآبار ورمم كثيرا من الآبار[5]، أما عن مصادر المياه القائمة في درب الحجاز فقد ذكرها الرحالة المغاربة بشيء من الإيجاز ففي وادي الشريف الواقع على الطريق بين مكة المكرمة والمدينة المنورة اتفق الرحالة المغاربة على كثرة مياهه وعذوبتها وفي عقبة السكر

---

(1) كشميري، المرجع السابق، ص 246-247.

(2) الطبري، المصدر السابق، ص 93.

(3) عواطف نواب، المرجع السابق، ص 373.

(4) نفسه، ص 378-380.

(5) سميرة علي عمر، إمارة الحج في مصر...، المرجع السابق، ص 251.

والمشلل والكيد شاهد العياشي سبيل ماء إضافة إلى وجود بركة ماء ضخمة غير أن المغاربة أهملوا ذكر المنشآت المائية التي شيدت لتسهيل الحصول على المياه[1].

أما بالنسبة لأعمال العثمانيين على طرق الحج فنذكر:

السحابات[2]:

سعى العثمانيون لتوفير سحابات تحمل الماء بهدف إرواء الناهلين في كل مكان ترحل فيه القافلة حتى تصل إلى الحجاز فتقوم بالدور ذاته مع أهالي الحجاز، لقد كانت هذه السحابات تحمل معها المياه والجمال والحبال والأكفان لمن يتوفى على الطريق من الفقراء وكانت بعض السحابات تشترط أن يقوم بأمرها المغاربة كما كانت تشترط الرحيل مع القافلة من مصر إل بركة الحاج ومنها إلى الطريق حتى مكة المكرمة ومنها إلى عرفات ثم إلى مكة ثانية ومن مكة تتوجه إلى المدينة المنورة[3].

من بين هذه السحابات نذكر:

- **السحابة الشريفة:**

بلغ عدد جمال هذه السحابة في القرن 10هـ/16م مائة جمل كانت مخصصة لخدمة عدة أغراض منها حمل الأكل والماء للفقراء وحمل المرضى والمنقطعين والعاجزين[4].

إن عمل هذه السحابات لم يكن مقتصرا فقد في العهد العثماني، بل ظهرت سحابات أخرى في العهد المملوكي كانت لها الأغراض هي خدمة الحجاج نذكر منها سحابة السلطان الغوري التي

---

(1) عواطف نواب، المرجع السابق، ص 388-389.

(2) السحابات تكون لحمل الفقراء والمشاة والعاجزين ولحمل المياه ووضعها في الركب لسقى العطشان واللهفان وإغاثتهم إذ لا قدرة لهم على حمله من أشهرها سحابة السلطان سليمان سليمان القانوني، أنظر: الجزيري، المصدر السابق، مج2، ص 22.

(3) بيومي، المرجع السابق، ص 208.

(4) سميرة علي عمر، المرجع السابق، ص 208.

ترحل مع الحجاج من مكة إلى عرفات ثم المدينة المنورة يصرف عليها من وقفه، إضافة إلى سحابة أخرى تخرج مع ركب الحج المصري بالإضافة إلى سحابة السلطان طومان باي[1].

- **سحابة السلطان سليمان القانوني:**

تخرج هذه السحابة رفقة قافلة الحج المصري في كل عام عدتها مائة جمل لحمل مؤكلات الفقراء وسقياهم جعلها مخصصة للفقراء[2]، وأوقف عليها أوقافا كثيرة يشتري من ريع أوقافها كل سنة جمال لحمل الفقراء[3].

- **سحابة السلطان أحمد خان:**

له سحابة كبرى بطريق الحج لشراء الجمال لحمل الفقراء والمنقطعين وتسير مع المحمل الشريف والركب المنيف[4].

- **سحابة أحمد باشا الحافظ[5]:**

عمل السحابة الأحمدية للفقراء بطريق مكة المشرفة لحمل المنقطعين من الحجاج في كل عام أوقف عليها الدكاكين والمنازل الموقوفة بمصر[6].

ومنذ أوائل القرن 11هـ/17م اقتصر عمل جمال السحابة على حمل الماء فقط للحجاج ونقص عددها إلى أربعين جمل لحمل الماء فقط للحجاج ونقص عددها إلى أربعين جمل وأصبحت موزعة على الشكل الآتي:

---

(1) بيومي، المرجع السابق، ص 279.

(2) الجزيري، المصدر السابق، مج2، ص 22.

(3) بيومي، نفسه، ص 380.

(4) نفسه، ص 380.

(5) أحمد باشا قدم واليا على مصر في رمضان 999هـ/1590م، وحتى رمضان 1003هـ/1594م كانت أيامه ربيع الفقراء والعلماء، له أوقاف كثيرة على الخيرات، أنظر: بيومي، المرجع نفسه، ص 380.

(6) سميرة علي فهمي، المرجع السابق، ص 208.

- 30 جملا لحمل سحابة الماء العذب.
- 5جمال للباشا الذي يتولى سقي السحابة.
- 1جمل لحمل الشمع والسكر.
- 1 جمل للشخص الذي يتولى إنارة السحابة.
- 3 جمال لسقائي السحابة[1].

كما أنشأت على طريق الحج المصري منشآت لخدمة الحجاج منها الخان الذي أقامه داود باشا 945هـ-956هـ/1538م-1549م، أقام فيه حوض إضافة إلى وبئرين قدمين لتوفير المياه للحجاج[2]، وفي سنة 951هـ/1544م أرسل أمير هندي يدعى محمود شاه كمية من العاج اشترط بيعها لتمويل حفر الآبار لصالح قافلة الحج لكن تبين أن المشروع كان صعب التنفيذ[3]، كما كانت القافلة تمر بعدد من الآبار والبرك مثل بركة البدع الغير عميقة إضافة إلى عدد من الآبار تتوافر فيها المياه منها: بئر الخوثلة وبئر العقلة والفقير[4].

أما طريق الحج العراقي فقد كانت تنتشر على جنباته آبار وقنوات تعتمد على المياه الجوفية وبرك تتجمع فيها مياه الأمطار، غير أن توفير الظروف الملائمة للحجاج في العراق كان مرتبطا بالأحوال السياسية، فإذا كانت الأحوال جيدة فإن الحج يكون سهلا وإذا كانت الأحوال سيئة فإنها تأثر بالسلب على الحجاج[5]، كما أن السلطة العثمانية لم تغفل عن طريق الحج العراقي فقد عهدت عهدت إلى الوزير مصطفى باشا سنة 1131هـ/1718م تعمير طريق الحج العراقي المؤدي إلى مكة وتوفير السقاة ليسقوا الحجاج بالمياه العذبة[6].

---

(1) سميرة علي فهمي، المرجع السابق، ص 208-209.

(2) فرحات، قافلة الحج المصري...، المرجع السابق، ص 78.

(3) فاروقي، المرجع السابق، ص 74.

(4) مطلق البلوي، العثمانيون في شمال الجزيرة...، المرجع السابق، ص 55-56.

(5) البلوي، المرجع السابق، ص 40.

(6) علي كامل السرحان، المرجع السابق، ص 96.

وعلى طريق الحج الشامي أنشأت العديد من القلاع في الأماكن التي يتوافر فيها الماء، فقد أنشأ السلطان سليمان القانوني في قلعة ذات الحاج وكان بقربها بركتان واحدة كبيرة والأخرى صغيرة[1].

كما سعت الدولة العثمانية إلى توفير مصادر مياه جديدة وشددت الحماية عليها حتى لا تتعرض للأعمال التخريبية من المفسدين وأقيمت برك تملء من الآبار أو من مياه الأمطار مثل أمثلة ذلك البركة والبئر في الأخيضر إضافة إلى هذا فإن أغلب الخانات والحصون المشيدة مزودة بآبار[2].

أما قلعة تبوك التي أنشأت عام 997هـ/1589م فقد كان يتوسطها بئر للمياه وفي قلعة الأخيضر التي شيدت سنة 938هـ/1531 فتشمل ثلاث برك ومسجد ويجدونها سبعة خزانات عميقة كما بنيت بجانبها برك في عهد السلطان أحمد الثالث 1115هـ-1143هـ/1703م-1730م[3].

2. الخدمات المقدمة للحجاج:

إن رحلة الحج في العهد العثماني لم تكن رحلة مريحة كما هي الآن، بل كانت رحلة شاقة جدا خاصة على الحجاج البسطاء، حيث يقضون في رحلتهم تلك مدة زمنية تتراوح ما بين الشهر إلى الثلاثة أشهر، لذلك نجد أن الدولة العثمانية وفرت العديد من الخدمات حتى تسهل عنهم من بين هذه الخدمات نذكر:

أ. الخانات:

كان يوجد بمكة ثلاث وخمسون خانا مكونة من عدة طوابق وكانوا يطلقون على الخان اسم آخر هو الوكالة وفي كل خان توجد ما بين مائة إلى مائتين غرفة، ورغم وجود كل هذه الخانات إلا

---

(1) البلوي، المرجع السابق، ص 67.

(2) كشميري، المرجع السابق، ص 355.

(3) البلوي، نفسه، ص 69.

أنها لا تكفي لإيواء الحجاج [1]في وقت الحج فأجر المكيون بيوتهم التي بدورها لا تكفي فينصب الحجاج الخيام[2].

ولزيادة الخانات الموجوة على الطريق بين دمشق واسطنبول فقد بني ثلاث خانات في شمال دمشق وفي سنة 928هـ/1561م بنى بيري باشا خانا آخر في طرطوس وزادت الحراسة في كل منهما لحماية الحجاج وممتلكاتهم[3].

كما أنشأ داود باشا السابق ذكر خانا خارج القاهرة على الطريق لبركة الحاج وانشأ بحوار الحوض الذي أقامه بستانا ومحرابا لصلاة وأماكن يجلس عليها الحجاج للاستراحة[4]، إضافة إلى خان في عجرود جدد سنة 945هـ/1538م وأخر في النخيل وسع سنة 959هـ/1551م بمال قدمه السلطان سليمان القانوني وأقيم به سوق أيضا، وكان في المولیح خان وفي الأزلم خان تحفظ بهما ودائع الحجاج لحين عودتهم من الحج، كما أصلحت إستراحة الخليص وعملت لها قبة تشرف على البركة[5].

---

[1] يتساءل القارئ هنا عن عدد الحجاج الذين كانت تستقبلهم مكة المكرمة، لكن المعلومات في هذه النقطة شحيحة لأننا لا نملك إحصائيات دقيقة لعددهم الذي كان يختلف من فترة إلى أخرى إلا ما ذكرته المؤرخة ثريا فاروقي وبتحفظ، فهذا النقص في المعلومات راجع إلى أن الدولة العثمانية لم تجري أي محاولات لتعداد الحجاج، فحسب عبد القادر الجزائري الذي كان يعمل في إدارة قافلة الحج وهو سليل عائلة تعمل هذا المجال، فإن قافلة الحج المصري كانت تضم سنة 1279هـ/1862م أربعين ألف حاج مصري وعدد مماثل من الحجاج السوريين والعراقيين، وفي رواية لكتاب برتغالي مجهول قال إن قافلة الحج المصري لوحدها كانت سنة 1580م خمسين ألف حاج، ويذكر رحالة إسباني آخر يدعى علي بك والذي زار مكة سنة 1807م رقم ثمانين ألف حاج وألفين إمرأة وألف طفل، وفي سنة 1814م قدر جون لويس بوركهاردت أن نحو سبعين ألف حاج صلوا بعرفات، أنظر: فاروقي، المرجع السابق، ص 80-81.

[2] أوزوتونا، تاريخ الدولة العثمانية...، المرجع السابق، مج2، ص 230.

[3] كشميري، المرجع السابق، ص 354.

[4] فرحات، قافلة الحج المصري...، المرجع السابق، ص 78.

[5] كشميري، نفسه، ص 358-359.

ب. تمويل قوافل الحجاج وتموينها:

خصصت الدولة العثمانية العديد من المنشآت لملاقاة الحجاج منها:

- قافلة الجردة: تمون قافلة الحج الشامي، سبق ذكرها في المبحث الأول.
- سحابة الفقراء: سبق ذكرها في هذا المبحث.
- الملاقاة: هي شبيهة بالجردة التي تلاقي قافلة الحج الشامي، تقوم الملاقاة بتقديم وجبات للحجاج عند نزولهم بالأزلام والعقبة[1] فتقوم بإمداد الحجاج بما يحتاجونه من مؤن وملابس وغيرها من الضروريات لذلك كانت بعثة الأزلم تحمل كميات من المؤن الطازجة للحجاج أثناء عودتهم، وعادة ما كانت هذه البعثة تصحب معها أقارب الحجاج والتجار الذين يحضرون بضائعهم لبيعها للحجاج، تخرج هذه العثة من القاهرة يوم 25 ذي الحجة من كل سنة لتصل إلى الأزلم في حوالي 10 أيام أي قبل وصول قافلة الحج المصري إلى الأزلم[2].
- المساعدات المالية:

حرصت الدولة العثمانية على توفير الدعم المالي اللازم لأمراء الحج وذلك حتى تسهل على أمراء الحج مأمورية قيادة قوافل الحج، فقد كانت تسلم لأمير الحج المصري مبالغ مالية سنوية من الخزينة المصرية تسمى السليانة[3]، وهي عبارة عن راتبه السنوي كأمير للحج إضافة إلى ذلك فقد كانت تدفع لهم أموال أخرى تسمى تسليمات من الخزية المصرية لسد نفقات مهامه، فهو يقوم بالاستعداد لخروج القافلة من خلال شراء ونقل البضائع والمؤن التي سترسل مع القافلة أو التي سترسل

---

(1) كشميري، المرجع السابق، ص 359.

(2) فرحات، المرجع السابق، ص 79.

(3) السليانة مشتقة من الكلمة الفارسية سال بمعنى سنة، وسليانة بمعنى سنوية، فهي تعبير تطلق على المرتب السنوي الذي كان يصرف من الخزينة للباشا ولكبار أمراء السناجق وغيرهم من الموظفين، أنظر: سمير علي عمر، المرجع السابق، ص 156.

قبل زمن السفر مباشرة إلى الحصون الواقعة على طول الطريق، وقد تم تخصيص ثلاث أبواب لتموين القافلة من حزينة مصر هي[1]:

- **المساعدات القديمة:**

كانت تقدم لأمير الحج منذ الفتح العثماني لمصر وهي عبارة عن مساعدات المالية إضافة إلى منحهم أقاليم لكي يمكنهم عائدها من تغطية النفقات الكبيرة التي تتطلبها القافلة[2].

- **المساعدات الجديدة (المضاف)[3]:**

كان المضاف الذي زود به أمير الحج مضافا ثابتا أضافته الدولة العثمانية من خزينة مصر لتوفير المال الذي يحتاجه أمير الحج، ففي سنة 1107هـ/1696م وصل مقدار ما تحصل عليه أمير الحج من المضاف إلى مبلغ 2.587.107 بارة[4].

- **مساعدات الأوقاف:**

لقد أوقفت أوقاف عديدة على أمير الحج فكان أول من وضع وقفا هو السلطان سليم الأول حيث رتب بلادا وقفا لكل من كان أمير للحج لأجل إعانته كما أضيفت له قطع أراضي ليزرعها لجماله وخيوله، ففي القرن 12هـ/18م ورد خط شريف بأن يضاف إلى أمير الحج قرى جديدة هي البحيرة، الغربية، الشرقية والقليوبية[5].

---

(1) فرحات، المرجع السابق، ص 55.

(2) سميرة علي عمر، المرجع السابق، ص 110-11.

(3) المضاف هو ضريبة كانت تفرض في بعض السنوات لسد العجز الذي يحدث في الخزية المصرية، وكان هناك نوعان من المضاف منها مضاف مؤقت يفرض لظروف طارئة تستدعي فريضه ويلغي بزوال تلك الظروف، أما النوع الثاني فهو مضاف ثابت إلى الخزينة ويصبح جزءا من إلتزاماتها المالي، أنظر: سميرة علي عمر، نفسه، ص 112.

(4) فرحات، نفسه، ص 56.

(5) بيومي، المرجع السابق، ص 183.

- **الإخراجات العينية:**

بالإضافة إلى الأموال النقدية والأوقاف وجدت أيضا إخراجات عينية وكانت تخرج بانتظام في كل عام ففي القرن 10هـ/16م كان يتحصل أمير الحج على ألفي إردب[1] من القمح الجيد وأربعة آلاف إردب من قناطير من السكر واثنان ونصف قنطار من الحلويات المتنوعة وخمسون قنطار من البقسماط[2]، وأربعة قرب من الماء[3].

- **الجمال ومتعهدوها:**

كان تأمين الجمال بالعدد والنوعية المناسبين يشكل أحد أصعب المشاكل التي تواجه إداريي القافلة فالجنود والحجاج وحدهم كانوا بحاجة إلى أكثر من 600 حيوان علاوة على ذلك كان من الضروري أخذ عدد كبير من الجمال البديلة لأن الخسائر على الطريق الطويلة إلى مكة كانت مرتفعة.

تعددت خدمات هذه الجمال منها:

-جمال النفر:

اختصت هذه الجمال بأحمال السنيج والسقائين والبيوتات بالنسبة لجمال السنيج فقد اختصت بحمل المأكولات ولوازم الطبخ، أما جمال السقائين فكانت تختص بحمل قرب الماء التي بلغ عددها مائتين وعشرين جملا تحمل ألف وستمائة قربة في الفترة بين 923هـ-942هـ/1517م-

---

(1) الإردب يستخدم في وزن الحبوب وكان حجمه يختلف تبعا للحبوب الموزونة وكذلك المكان الذي تتم فيه عملية الوزن ففي القرن 15م كان يقدر بـ 90 لتر وفي سنة 1665م كان يقدر بـ 75 لترا وفي القرن 18م تضاف قيمته، أنظر: فرحات، المرجع السابق، ص 58.

(2) البقسماط هو الخبز الجاف.

(3) بيومي، المرجع السابق، ص 183.

1535م وبالنسبة لجمال البيوتات فكانت تختص بأحمال البيوتات المختلفة مثل مال الصرر، الودائع، الملابس... [1].

- **جمال الشعارة:**

الشعارة هم العربان المختصون بحمل الفول وقد عرفت جمالهم بجمال الشعارة نسبة إلهم وكانت تصحب قافلة الحج أثناء سيرها[2].

- **جمال المحمل:**

كانت تختص بأحمال المحمل وما يتعلق به بلغ عددها ثمانية وعشرين جملا[3].

- **جمال السحابة:**

مخصصة لحمل أغراض الفقراء من الحجاج[4].

- **محفظة الأطعمة السلطانية للحج النبيل:**

هي عبارة عن مكتب مهمته توفير المؤونة للحجاج الذي مروا بأوقات عصيبة إضافة إلى الجنود والموظفون الرسميون، وقد كانت المؤن الغذائية المخصصة لرحلة العودة توضع أحيانا في الحصون الصحراوية التي تحمي نقاط توقف القافلة، كما كان يعهد في بعض الأحيان حماية المؤن الخاصة بمحفظة الأطعمة السلطانية في المزيريب إلى البدو[5].

---

[1] سميرة علي عمر، المرجع السابق، ص 204-205.

[2] نفسه، ص 206.

[3] نفسه، ص 207.

[4] نفسه، ص 208..

[5] فاروقي، المرجع السابق، ص 73-74.

وقد كان الحجاج الفقراء يحصلون على وجبات ساخنة إما مجانية وإما بدفع مبالغ رمزية[1] كما كانت تنصب لهم خيمة خاصة بهم وكانوا يتلقون أحيانا صدقات نقدية أو تعطى لهم سراويل وأحذية جديدة[2].

3. الخط الحديدي الحجازي[3]: 1318هـ-1326هـ/1900م-1908م.

يعد مشروع سكة حديد الحجاز من أروع الإنجازات التي قام بها السلطان عبد الحميد الثاني من الناحية السياسية والدينية والحضارية فقد استطاع هذا المشروع العملاق أن يقدم خدمات جليلة لحجاج بيت الله الحرام تمثلت في اختصار وقت هذه الرحلة الشاقة التي كانت تستغرق في السابق عدة شهور يتعرضون فيها لغازات المتربصين ومخاطر ومشاق الصحراء.

سعى السلطان عبد الحميد الثاني من خلال هذا الإنجاز إلى تقوية التضامن الإسلامي واعتبر أن هذا المشروع وسيلة من الوسائل التي ستعلى من شأن الخلافة وتساهم في نشر فكرة الجامعة الإسلامية[4]، وقد أبدى السلطان عبد الحميد الثاني اهتماما بالغا بإنشاء الخطوط الحديدية في مختلف أنحاء الدولة العثمانية المتباعدة مما ساعد على نجاح فكرة الوحدة والجامعة الإسلامية والسيطرة الكاملة على الولايات التي تتطلب تقوية قبضة الدولة عليها إجبار الولايات العربية على الاندماج في الدولة والخضوع للقوانين العسكرية، تسهيل مهمة الدفاع عن الدولة في أي جبهة من الجبهات التي تتعرض للعدوان[5].

---

(1) كشميري، المرجع السابق، ص 355.

(2) فاروقي، المرجع السابق، ص 76.

(3) أنظر: الملحق رقم 09، ص 137.

(4) الجامعة الإسلامية هي فكرة راودت السلطان عبد الحميد الثاني سعى من خلالها لتوحيد القوى الإسلامية لمجابهة الروح المسيحية الطامعة في الخلافة وثرواتها وعمل على تدعيم أوامر الأخوة مع مسلمي الصين والهند وأواسط إفريقيا، ظهرت في النصف الثاني من القرن 19م، أنظر: موقف بني المرجة، السلطان عبد الحميد الثاني والخلافة الإسلامية، د.ط، مطابع دار الكويت للصحافة، الكويت، الكويت، 1994، ص 85.

(5) الصلابي، الدولة العثمانية عوامل نهوض...، المرجع السابق، ص 699.

لاقت سكة حديد الحجاز في بدايات القرن 20م شهرة واسعة على الرغم من عمرها القصير، فقد ربط خط حديد الحجاز اسطنبول بدمشق ومكة المكرمة بالمدينة المنورة والبحر الأحمر، وتعود قصة إنشاء هذا الخط إلى عام 1281هـ/1864م حيث قام المهندس الأمريكي الدكتور زيمبل بتقديم أول مخطط للمشروع يتعلق بإنشاء خط حديدي داخل أراضي الدولة العثمانية يمتد من اسطنبول إلى المدينة المنورة غير أن هذا المشروع لم يتحقق بسبب التكلفة العالية، وفي عهد السلطان عبد العزيز 1278هـ-1293هـ/1861م-1876م تبلورت فكرة إنشاء الخط الحديدي غير أنها لم تجسد إلا في عهد السلطان عبد الحميد الثاني[1].

قدم ناظر الأشغال العمومية هذا المشروع للسلطان عبد الحميد الثاني سنة 1297هـ/1880م لكن المختصين من الهندسيين والجغرافيين رفضوا هذا المشروع لتعذر تنفيذه، ولأن هناك بدائل أقل تكلفة من حجتهم في ذلك أن القبائل العربية التي اعتادت سرقة الحجاج التي تنزل بالمناطق التي يجتازها الخط المقترح وأن المواصلات البحرية أكثر سهولة وارخص من الواصلات البرية، أما البدائل التي اقترحت لتعويض هذا الخط هي تأمين المواصلات بين الشام والحجاز[2].

غير أن الاهتمام المتزايد الذي ظهر في الدولة العثمانية منذ النصف الثاني للقرن 19م حول إنشاء شبكة واسعة من الخطوط الحديدية في مختلف أنحائها خاصة بعد أن حقق العثمانيون نجاحات كبيرة في هذا المجال لاسيما في الأناضول وبلاد الشام، إضافة إلى هذا فإن السلطان عبد الحميد كان يفخر بضمه للأماكن المقدسة والمركز الروحي الأوحد للمسلمين فزاد من اهتمامه بهما من خلال:

- زيادة الأموال التي تدفع للبدو والنازلين على طول طرق الحج لحماية قوافل الحجاج[3].
- رصد مبالغ طائلة لإصلاح الحرمين الشريفين.

---

(1) متين هولاكو، الخط الحديدي الحجازي المشروع العملاق للسلطان عبد الحميد الثاني، تر، محمد صواش، ط1، دار النبيل للطباعة والنشر، القاهرة، مصر، 2011، ص 14.

(2) مطلق البلوي، المرجع السابق، ص 107.

(3) أنظر الملحق رقم 10، ص 138.

- إنشاء سكة حديد الحجاز رغم الأوضاع الصعبة التي كانت تمر بها الدولة العثمانية[1].

- **تمويل الخط الحديدي الحجازي:**

أعلن السلطان عبد الحميد الثاني سنة 1318هـ/1900م إنشاءه وقام بنشره في كافة أنحاء العالم الإسلامي يناشدهم فيه المساهمة في التبرع لإنشاء هذا الخط وافتتح قائمة التبرعات بمبلغ خمسين ألف قطعة ذهبية عثمانية من جيبه الخاص وتقرر دفع مائة ألف قطعة ذهبية عثمانية من صندوق المنافع[2]، هذا الفعل أجج الحماسة الدينية في نفوس المسلمين فكان أول من استجاب لهذه الدعوة أركان الدولة العثمانية[3] وموظفيها وتجارها. كما استجاب لهذه الدعوة مسلمين من كل أنحاء العالم وراحوا يتسابقون في إرسال التبرعات من أجل إنشاء هذا الخط[4].

وكان مسلمو الهند أكثر مسلمي العالم حماسا وعاطفة وتبرعا للمشروع فقد تبرع أمير حيدر آبار بالهند بإنشاء محطة المدينة المنورة كما تبرع شاه إيران بمبلغ 50.000 ليرة عثمانية[5] وعندما توفرت الإيرادات المالية اللازمة شرع في إنشاء الخط.

- **مسار الخط الحديدي ومحطاته:**

يمتد من دمشق إلى المدينة المنورة:

المسار الرئيسي: يمتد من دمشق إلى المدينة المنورة

---

(1) نزار علوان عبد الله، سكة حديد الحجاز وأشراف مكة المكرمة 1900هـ/1914م، قسم التاريخ، كلية التربية، الجامعة المستنصرية، العراق، ص 03-04.

(2) الصلابي، المرجع السابق، ص 699.

(3) مثل الصدر الأعظم ووزير الحربية حسن باشا ووزير الأشغال التجارة ذهبي باشا ورئيس لجنة المشروعات عزت باشا، كما شارك القصر الحاكم في مصرفي حملة التبرعات وشاركت الصحافة المصرية في حملة سكة حديد الحجاز ومثال على ذلك جريدة المؤيد وجريدة اللواء المصرية، أنظر: الصلابي، نفسه، ص 700.

(4) متين هولاكو، المرجع السابق، ص 29.

(5) الصلابي، نفسه، ص 701.

- **المسار الفرعي:**

هي الفروع التي كانت تربط المناطق المنفصلة عن المسار بالخط الرئيسي[1]، بلغ طول هذا الخط 1320 كلم2[2] عهد إنشائه للمهندس الألماني مسنر باشا ***Meissner Pasha*** الذي أنشأ سكة حديد بغداد، كما استخدم مهندسين أوروبيين كان أغلبهم من الألمان ولم يقتصر الأمر على ذلك بل إن النقص في الفنيين والصناع المهرة اضطره إلى استخدام فنيين أجانب لبناء الجسور والعبارات وتفتيت الصخور كما تم الاستفادة من الصناع المصريين والسوريين، أيضا أما الأعمال التي لا تحتاج إلى مهارة فنية فقد قام بإنجازها الجيش العثماني[3].

- **محطاته:**

أولى المحطات هي محطة دمشق بعد إنشاء خط بين دمشق ودرعا بتاريخ الأول من سبتمبر 1900م أقيمت من أجل ذلك احتفالات رسمية ومراسيم وفي عام 1903م تم توصله إلى عمان وعام 1904 تم توصيل الخط إلى معان وعندما وصل الخط إلى معان أقيمت إدارة الأعمال للخط وشرع بنقل الركاب وشحن البضائع وكان ذلك في الأول من سبتمبر 1905م وبتاريخ الأول من سبتمبر 1906م وصل الخط إلى مدائن صالح ومنها إلى المدينة المنورة[4] التي اعتبرت آخر محطة انتهى عندها الخط الحديدي [5] بتاريخ 31 أوت 1908م[6].

---

(1) متين هولاكو، المرجع السابق، ص 30.

(2) الملغوث، أطلس الحج والعمرة...، المرجع السابق، ص 140.

(3) نزار علوان عبد الله، المرجع السابق، ص 06.

(4) أنظر الملحق رقم 11، ص 139.

(5) متين هولاكو، نفسه، ص 21.

(6) كان أول قطار وصل إلى محطة سكة حديد الحجاز في المدينة المنورة من دمشق يوم 22 آب 1908م وكان هذا بمثابة تحقيق حلم من الأحلام بالنسبة لمئات الملايين م المسلمين، أنظر: الصلابي، المرجع السابق، ص 720.

- **رد فعل القبائل العربية من مشروع سكة حديد الحجاز:**

سهلت سكة حديد الحجاز رحلة الحج ووفرت الحماية للحجاج فقلت بذلك هجمات البدو، الأمر الذي دفع هذه الأخيرة إلى شن هجمات عديد على الخط وعماله، وذلك لأن سكة الحديد الحجاز حرمتهم من الغنائم التي كانوا يحصلون عليها عن طريق الإغارة على القوافل الحجاج[1]، واستمرت عمليات السطو والإغارة على معدات السكة ثم أخذت تقوم بالهجوم المباشر على قنوات الحماية فقد بلغت اعتداءات البدو في عام 1326هـ/1908م مائة وثمانية وعشرين اعتداء[2].

حاولت الإدارة العثمانية جاهدة استرضاء القبائل البدوية، فقد أرسلت من دمشق بعثة إلى منطقة بالمدينة المنورة لتقديم الهبات إلى مشايخ القبائل ومنحهم الوعود بتخصيص رواتب سنوية لهم غير أن جهود هذه البعثة أخفقت فمالت الدولة العثمانية إلى استعمال القوة مع القبائل المعارضة فأرسلت حملة من ألف وخمسمائة رجل إلى الحجاز لإخماد مقاومة القبائل لكن لم ينجح بدوره[3]، كما كان موقف الاشراف معاديا لهذا المشروع فقد قام الشريف عون الرفيق 1300هـ-1323هـ/1882م-1905م شريف مكة المكرمة الذي عاصر سكة حديد الحجاز بالوقوف بالند لهذا المشروع وكان يدعم في السر الانتفاضات والهجمات التي يقوم بها البدو، والسبب الذي جعل أشراف الحجاز يعارضون هذا المشروع كونه يعارض مصالحهم، ولكن العلاقة ساءت أكثر في عهد الشريف الحسين الذي عمل جهده لوقف أعمال مد السكة بين المدينة المنورة ومكة المكرمة[4].

---

(1) متين هولاكو، المرجع السابق، ص 24.

(2) إبراهيم فاعور الشرعة، موقف القبائل البدوية من قافلة الحج الشامي والخط الحديدي الحجازي في القرن 19م وبداية القرن 20م، جامعة الأردن، ص 56.

(3) مطلق البلوي، المرجع السابق، ص 111.

(4) زار علوان عبد الله، المرجع السابق، ص 10.

كانت نهاية هذا الخط الحديدي الحجازي سنة 1326هـ/1908م على يد القبائل البدوية التي عملت جاهدة لتخريب الخط فحطموا أجزاء عديدة منه ما بين 1330هـ-1332هـ/1912م-1914م وازداد تخريب هذا الخط الحديدي بعد الثورة العربية 1334هـ/1916م حيث قامت بتدميره ونسفت أماكن عديدة منه، وتحطم بذلك حلم المسلمين معه[1].

[1] إبراهيم الشرعة، المرجع السابق، ص 64.

المطلب الثاني: دور الدولة العثمانية لحماية الحجاج وقوافلهم923هـ/ 1517م.

لقد تولى العثمانيون حماية الحرمين الشريفين في عام 923هـ/1517م[1] بعد أن أعلن الشريف بركات أمير مكة المكرمة دخول الحجاز تحت السيادة العثمانية وإرساله مع ابنه أبو نمى مفاتيح الكعبة الشريفة وبعض الآثار النوبية إلى السلطان سليم بالقاهرة بعد فتحه لمصر[2]، ونتيجة لذلك تم الدخول تلقائيا وسلميا تحت السيادة العثمانية، ويبرز الطابع الديني في اهتمام الدولة العثمانية بإقليم الحجاز الذي أضافت تبعيته لها مركزا دينيا مرموقا في جميع أنحاء العالم الإسلامي على أساس أنه يضم الأماكن المقدسة[3]. فكان سلاطين الدولة العثمانية يبرزون لقبين من ألقابهم العديدة هما "حامى الحرمين" و"خادم الحرمين الشريفين" تأثيرا للزعامة الدينية للدولة العثمانية[4]، وتمثلت الحماية في:

1. التصدي للهجمات الخارجية:

اعتبر العثمانيون أنفسهم حماة الإسلام من المسيحية فقد اعتبروا أنفسهم كذلك حماية المذهب السني من الشيعة في فارس، ولهذا نشبت كراهية شديدة بين العثمانيون والفرس وامتزجت الكراهية السياسية بالكراهية المذهبية[5] هذا ما جعل سليم الأول يصمم على غزو فارس وتحطيم قوة الصفويين وتم ذلك في موقعه جالديران عام 1514ن فأمن بذلك الحدود الشرقية وأخرج الصفويين من قائمة القوى التي تستطيع أن تقف أمامه[6].

زادت تحركات البرتغاليين نشاطا في البحر الأحمر منذ سنة 910هـ/1509م[7] ففي سنة 916هـ/1510م قبض شريف بركات أمير مكة المكرمة على ثلاث أشخاص تسللوا إلى مكة المكرمة

---

(1) سعيد بن حسين عثمان، الاعتداء، المرجع السابق، ص 81.

(2) جميل السيار، تكوين العرب الحديث...، المرجع السابق، ص 88.

(3) سامي المغوث، المرجع السابق، ص 136.

(4) الشناوي، المرجع السابق، ج1، ص 81.

(5) بياكور، حزام الأمن العثماني، المرجع السابق، ص 80.

(6) نفسه، ص 63.

(7) كشميري، المرجع السابق، ص 78.

في لباس عثماني وكانوا يحومون حول المسجد الحرام متظاهرين بأنهم من المسلمين وبعد استجوابهم اتضح أنهم من جواسيس برتغاليين[1] وكشف بذلك المخطط البرتغالي وهو دخول البحر الأحمر واجتياز إقليم الحجاز بالاحتلال ميناء جدة ثم الزحف على مكة المكرمة واقتحام المسجد الحرام وهدم الكعبة الشريفة ثم موالاة الزحف على تابوك ومنها إلى بيت المقدس والاستيلاء على المسجد الأقصى وبذلك تقع هذه المساجد الثلاثة في أيدي البرتغاليين[2]. فما كان على الدولة العثمانية إلا وضع حزام أمن حول الحرمين بهدف حمايته من الغزو الصليبي الاستعماري البرتغالي[3]، فكانت خطة الدفاع تسيير في اتجاهين:

- **الاتجاه الأول**: الشام ومصر ثم انضمام الحجاز وفتح عدن وتأمين البحر الأحمر وجعله بحرا إسلامية اتخذت قاعدته لمواجهة البرتغاليين في المحيط الهندي.
- **الاتجاه الثاني**: هو العراق ثم الخليج العربي ليدخل السلطان سليمان الأول بغداد وأخذ العثمانيون مد نفوذهم إلى البصرة لإكمال حلقة الدفاع عن شبه الجزيرة العربية إلى أن تصل دولة شاطئ الغربي للخليج العربي[4].

وبذلك أصبح البحر الأحمر محرما عن السفن غير إسلامية التي تجاوز موقع المخا في اليمن بحجة أن هذا البحر يطل على الأماكن المقدسة في الحجاز ومعلنة طريق بحر للسفن الإسلامية فقط[5] ونظرا لتكرار الاعتداءات على المدينة المنورة[6] أمر السلطان سليمان القانوني سنة

---

(1) سعيد بن حسن عثمان، المرجع السابق، ص 79.

(2) الشناوي، المرجع السابق، ج1، ص 864.

(3) بياكور، المرجع السابق، ص 4.

(4) نفسه، ص 386.

(5) الشناوي، نفسه، ص 186.

(6) مهاجمة الشريف الزبيدي الذي كان يلي أمير مكة في المدينة المزارع حولها واعتدى على أهلها بسبب عزله عن إمارته وهناك خطر آخر وأهم كان يشغل السلطان سليمان هو وجود فئات طول المدينة، وقد كان لها حركات وقامت تطالب بحقوق ودور في المدينة، ابن ياس، بدائع الزهور، ج5، ص 235-477.

939هـ/1532م، بتسويرها[1] وأقام فيها حامية عسكرية فوصلت مجموعة عسكرية قوامها خمسون نفرا من الفرسان والرماة. وأما عن مكان القلعة فقد كانت عند باب الشامي نهاية السور من جهته الغربية الشمالية.

وفي سنة 946هـ/1539م وصل من الدولة العثمانية تسعون جنديا من جنود الانكشارية ليكونوا مع أسلافهم[2] وعينت الدولة ضابطا كبيرا في منصب القائد وأصبح واحد من شخصيات المدينة المنورة ثم حولت منطقة إلى سنجقية تابعة لإيالة مصر[3].

أما جدة فكان يحيط بها سور له خمسة أضلع وكل ضلع من أضلاع هذا السور له باب[4] استمرت المحافظة على وجود السور حول جدة في القرون التالية وآخر بناء له كان نهاية عهد الدولة المملوكية. رأى العياشي قلعتين حربيتين متقنتي البناء حشد فيهما العديد من المدافع الكبيرة والصغيرة لحمايتها من الجهات البحرية [5].

2. حماية قوافل الحج:

حرصت الدولة العثمانية على أن تصل القوافل الحاج بأمن واطمئنان فأقامت الحصون والقلاع على طول الطريق ووفرت قوات تقوم بالحراسة لكسر شوكة قطاع الطرق والبدو[6] واعتبرت أن إلحاق الضرر بالقوافل أمر لا يمكن التساهل معه فيعد ذلك تحديا للدولة فتجابهه بكل حزم[7].

---

[1] عمر السيد، مصرفي العصر العثماني، المرجع السابق، ص 242-285.

[2] بيومي، المرجع السابق، ص 275.

[3] فرحات، المرجع السابق، ص 78.

[4] الشريف موسى، المرجع السابق، مج2، ص 757.

[5] عواطف نواب، المرجع السابق، ص 247.

[6] الصفافي، المقال السابق، ص 4.

[7] مطلق، نفسه، ص 48.

كما خصصت مبالغ مالية في الصرة التي كانت ترسل إلى الحرمين الشريفين مع قافلة الحج لشيوخ القبائل المقيمين[1] على طول طرق الحج المعروفين بأهل الدرك وهم مكلفون والمشاركون في حراسة قوافل الحج وحماية وصيانة طرقها[2].

وكانت أيضا ترسل راتب الجند وهي عبارة عن مبالغ نقدية ومخصصات عينة بعضها من القمح بالإضافة إلى هدايا كانت تسمى الخلع وهي قطع ملابس التشريفات والمناسبات كالقفاطين والجبب يكلف بتسلمها موظفون مخصصون يعرفون بأغوات القفطان[3].

ولم تختصر الحماية عند هذا الحد بل سمحت للحجاج بحمل السلاح معهم لحماية أنفسهم ومن ذلك كانت القافلة المصرية تجر معها مدافع حربية[4].

وأشرفت أيضا على قوافل الحج الرئيسية التي تخرج من أنحاء الدولة كافة في مواعيد محددة كل عام، وتضع لها قوة عسكرية تحرسها يقودها كبار العسكريين الذي يسمى سر دار الحج وكان على رأس كل قافلة أمير حج وكثيرا ما كان يتولى قيادة الجيش المرافق للقافلة وخاصة قافلة الحج الشامي[5].

الشامي[5].

وكان أيضا ولاة الشام يخرجون في حملات لملاقاة القافلة، وقد يأخذون رهائن من أقرباء الأعراب ولا يطلقونهم إلا بعد عودة القافلة سالمة[6].

---

(1) كشميري، المرجع السابق، ص 292.

(2) مطلق، نفسه، ص 55.

(3) كشميري، نفسه، ص 292.

(4) فرحات، المرجع السابق، ص 77.

(5) سامي الملغوث، المرجع السابق، ص 136.

(6) كشميري، نفسه، ص 364.

أما الجيش السابع الميداني خاص بولاية اليمن، كانت وحداته كلها تتألف من عساكر نظامية وكانت فرقة الحجاز المرتبطة بهذا الجيش عبارة عن ثلاث أيالات، مشاة ونصف آلاي خيالة وبطارية مدفعية، وقد حرصت الدولة على وضع محطات حراسة بحوار آبار المياه على طرق القوافل[1].

وجدت على مسار الحجاج أيضا في الكرك وهي منطقة تشمل أغلب مناطق الأردن حاليا وكانت قوافل الحج تعبرها من الحدود السورية إلى شمال الحجاز من ثلاث دروب فركز العثمانيون على طريق واحد منها فقط وتجنبوا الآخرين ليسهل تركيز الحماية عليه والحد من تعديات الأعراب[2].

وشيدت حصون وقلاع على طوال درب الحجاز في المناطق التي تكثر فيها الهجمات على المسافرين والحجاج وقد بنيت بإتقان شديد وبناء قوي فمنها ما كان في العهد العثماني ومنها ما كان قد شيد قبله بزمن.

وقد اتخذت كمحطات لراحة قوافل الحجيج وأيضا مراكز لتخزين المؤن والمياه التي تحتاجها زمن الحج بالإضافة إلى أنها كانت كمراكز للحفاظ على الأمن وقمع غارات البدو الذين اعتادوا مهاجمة قوافل الحج وأهم هذه القلاع هي[3]:

1. **قلعة السويس**: أنشأت في عهد السلطان سليم الأول في سنة 926هـ/1520م[4] هي أولى أولى القلاع التي تقابل الحجيج من بداية الرحلة إلى الديار المقدسة، واختصت بحراسة حدود مصر الشرقية[5].
2. **قلعة عجرود**: تقع شمال السويس قام بتشييدها السلطان سليم الثالث ثم أعيد بناءها سنة 1596-1597، كانت الخزينة المصرية تتكفل بتغطية مصاريف حراستها.

---

(1) الصفصافي، المرجع السابق، ص 3.

(2) كشميري، المرجع السابق، ص 36.

(3) عواطف نواب، المرجع السابق، ص 647.

(4) فرحات، المرجع السابق، ص 77.

(5) بيومي، المرجع السابق، ص 270.

3. **قلعة نخل**: بداخلها حواصل معدة لذخائر الحجاج[1] والمستخدمين وبها عساكر ومدافع وهي قلعة حصينة مربعة الشكل[2].

4. **العقبة**: تقع على بعد مائتي ميل من السوس هي أكبر قلاع طريق الحج كانت تحفظ بها أموال الحرمين الشريفين والحجاج والنازلين لهذا الطريق، حيث يسترحون لمدة 3 أيام[3].

5. **المويلح**: أنشأها سليم الأول[4] أثناء عودته من الهند فكان حرا لها من أوقاف المتفرقة الذين وفروا الحماية للقافلة التي سلك هذا الطريق[5].

6. **الأزلم**: جددت في عهد السلطان سليم الأول سنة 916هـ/1510م[6] تقع على وادي الأزلم الأزلم قريبا من ساحل البحر الأحمر وهي تعد من أهم القلاع الموجودة على طريق قافلة الحج المصرية إذ يترك بها الحجاج ودائعهم الثمينة إلى حين العودة[7].

7. **الينبع**: وهي من أهم القلاع بلاد الحجاز إذ أنها تحمي الغلال والأقوات التي تأتي إلى المدينة المنورة[8] كما يترك فيها الحجاج بضائعهم وحاجياتهم الثقيلة والثمينة التي يصعب المخاطرة بنقلها معهم خاصة في الفترات التي ينعدم فيها الأمن[9].

8. **قلعة العريش**: أنشأها السلطان سليمان القانوني قرب حدود مصر الشرقية حتى يحافظ على الحدود وعلى الحجاج الذاهبين والعائدين وقد فرضت مرتبات للقوة العسكرية الموجودة بها.

9. **بعثتي الأزلم والعقبة**: خصصت مصر خلال العهد العثماني بعثتي لملاقاة الحجاج ولحراستهم خلال رحلة العودة ولمدهم بما يحتاجون إليه من مؤن وملابس وغيرها من الضروريات إذ

---

(1) سميرة علي عمر، المرجع السابق، ص 270.

(2) نفسه، ص 275.

(3) فرحات، المرجع نفسه، ص 78.

(4) بيومي، نفسه، ص 253-254.

(5) فرحات، نفسه، ص 78.

(6) بيومي، نفسه، ص 271.

(7) فرحات، نفسه، ص 78

(8) بيومي، المرجع السابق، ص 275.

(9) فرحات، المرجع السابق، ص 77.

تذهب البعثة الأولى إلى الأزلم وقوامها 3 آلاف رجل يستدعون من الأوجاق والفرق العسكرية السبع المتواجدة في مصر يقودهم باشا الأزلم الذي أخذ على عاتقه أن يقدم كافة أنواع المعونة للحجاج[1].

لقد اعتنى العثمانيون بطريق الحج الشامي لأنه كان يتصل بالعاصمة اسطنبول ويسير عليه حجاجها لذلك نجد أن المنشآت الدفاعية ومنشآت الخدمات العامة عمت فيه إلى هناك[2] أما طريق طريق الحاج العراقي فلم تكن عليه قلاع وإنما آبار مياه وبرك[3]، فكان الحجاج العراقيون والإيرانيون يصلون من البصرة إلى دمشق ليرافقوا قافلة الحج الشامي من هناك أو ليسافروا على مسؤوليتهم عبر درب زبيدة بل كان من رد فعل الدولة على معاهدتها مع الصفويين أن تركت حماية طريق الحج من البصرة إلى دمشق لمدة سبع سنوات اعتبارا من سنة 1555 [4] في المقابل وجدت قلاع بعيدة عن دروب قوافل الحاج العراقية والشامية من بينها:

قصر برزان: في حائل يوجد به مسكن ومجلس لأمير فيه عدد من الأقنية[5].

قلعة تابوك: بناها السلطان سليمان[6] لخدمة قوافل الحاج الشامي ولحماية موارد المياه وحماية القوافل القوافل من اللصوص وقطاع الطرق الذين اتخذوا من الاعتداء عليها مصدرا لرزقهم. تتكون من ثلاثة طوابق تحيط بفناء مستطيل الشكل وتطل الحجرات على الفناء من الجهات الأربع وقد تم ترميمها[7]

---

[1] فرحات، المرجع السابق ، ص 80.

[2] كشميري، المرجع السابق، ص 362.

[3] البلوي، المرجع السابق، ص 63.

[4] الجزيري، المصدر السابق، ج2، ص 116.

[5] البلوي، نفسه، ص 63.

[6] كشميري، نفسه، ص 365.

[7] البلوي، نفسه، ص 67.

قلعة ذات الحاج: أنشأها السلطان العثماني سليمان القانوني 1520م/1566م[1] كانت فيها حامية تحرسها تتوفر فيها الكلأ والماء[2].

قلعة الأخيضر: وقد بينت عام 1531 تشمل على ثلاث برك ومسجد وهي قلعة حجرية مستطيلة الشكل من دون أبراج وتوجد في الشمال والشرق.

قلعة المعظم: هي قلعة عثمانية انشئت سنة 1622 [3].

قلعة الحمراء: توجد مجموعة من العرائش من جريد النخل يستجم فيها العساكر بالقرب منها مقهى يرتادها العسكر بشكل متتابع نظرا الحرارة الجو داخل القلعة[4].

بير عباس: توجد بها قلاع حجرية والعرائش المشيدة من جريد النخل للعسكر المقيمين هنا لحراسة المكان والمسافرين[5].

لقد سبق ذكر هذه القلاع أثناء تناولنا القافلتي الحج الشامي والمصري كمحطات يمر بها الحجاج، أما الآن فقد تم ذكرها كوسائل دفاعية أنشأتها الدولة العثمانية لحماية طرق الحج.

---

[1] كشميري، المرجع السابق، ص 365.

[2] البلوي، المرجع السايق، ص 68.

[3] نفسه، ص 69.

[4] نواب عواطف، المرجع السابق، ص 425.

[5] نفسه، ص 429.

المطلب الثالث: رعاية العثمانيين للحرمين المكي والمدني.

قام العثمانيون منذ امتداد إلى مكة المكرمة والمدينة المنورة في القرن 10هـ/16م بتنشيط الحركة العمرانية خاصة في الحرمين المكي والمدني فقد قاموا بترميم الكعبة المشرفة وجددوا عمارة المسجد الحرام واعتنوا بالمسجد النبوي.

1. ترميم الكعبة المعظمة والمسجد الحرام:

إن مكة المكرمة تقع في مكان معرض للسيول وهو ما جعلها تتعرض في مرات عديدة للتدمير، لذلك فقد قامت عدة عمارات له في مختلف العهود حتى قبل الإسلام، وبعد ظهور الإسلام حفظ بناؤها دون تغيير إلا إذا اقتضت الحاجة إلى ذلك، فقد تم إعادة إعمارها في النصف الثاني من القرن 01هـ/6م[1]، بعد التليفات التي لحقت بها نتيجة الصدمات التي حدثت بين الدولة الاموية وعبد الله بن الزبير في مكة المكرمة ومنذ ذلك الحين لم تتجدد عمارة الكعبة إلا بعد أن إنهارت أغلب جدرانها في القرن 11هـ/17م[2]، ولكن في القرن 10هـ/16م بدأت أولى التنبيهات تشير إلى أن بناء الكعبة المشرفة أصبح سيئا، غير أن الفقهاء كانوا يعارضون فكرة أي تعديل في البناء[3].

وقد حفظ بناء الكعبة الشريفة خلال العهد العثماني بعمليات الصيانة والترميم المتكررة، وعلى الرغم من أنه كان يراعي دائما أن لا يشرع في أي من الأعمال العمرانية المهمة في الكعبة، إلا بعد شرح المبررات التي توضح أن هذه الترميمات تمت لحاجة ملحة ويبدوا أن العثمانيين بدورهم كانوا مقتنعين بعدم الإقدام على أي إصلاح في الكعبة دون النظر في الوجه الشرعي لذلك[4].

---

(1) بنيت الكعبة المشرفة إحدى عشر مرة أولها بناء الملائكة، بناء آدم، بناء بني آدم، بناء إبراهيم الخليل، بناء العمالقة، بناء جرهم، بناء قصي، بناء قريش، بناء عبد الله، بن زبير، بناء الحجاج بن يوسف الثقفي، وأخيرا بناء السلطان مراد خان الرابع، أنظر: الطبري، الإرج المسكي...، المصدر السابق، ص 142-143.

(2) كشميري، المرجع السابق، ص 218.

(3) فاروقي، المرجع السابق، ص 187.

(4) كشميري، نفسه، ص 219.

أول أعمال الترميم العثمانية للكعبة كان هذا في عهد السلطان سليمان القانوني كانت سنة 931هـ/1524م بعد أن هطلت أمطار غزيرة أظهرت تلفا في السقف كان ناتجا عن كسر في إحدى العوارض الخشبية مما تطلب من المسؤولين عن شؤون الحرم إبلاغ سنجق جدة الذي رفع بدوره إلى أمير أمراء مصر فبعث مهندسين اكتفوا في هذه المرحلة بحشو السقف وتدعيم العارضة بطوق من حديد ثبتوه بالجبس[1].

بعد عامين جدد الميزاب[2] وأصلح الجدار الموالي له منعا لتسرب مياه الأمطار إلى جوف الكعبة، لكن قاضي مكة العثماني منع سنة 944هـ/1537م من إصلاح رخام الأرضية وقسم من الجدران ومنع من تسمير الأسطوانة الموالية للميزاب لما ظهر من عدم وجود ما يتوجب ذلك[3].

وقد استبدل بميزاب آخر مصفح بالذهب وحفظ القديم في اسطنبول ثم جدد الباب بباب آخر سنة 953هـ/1546م وصفح بالفضة المطلية بالذهب فلم تحدث له أي تليفات في الحريق الذي نشب فيه في العام التالي خلال عملية بتبخيره بل أزيلت آثار الحريق بإعادة التصفيح ثم أعيد الباب إلى مكانة، لكن خسفا جديدا عاد إلى الظهور مجددا في سقف الكعبة 959هـ/1551م لتفاقم الخراب السابق بإنكسار عارضة خشبية ثابتة وميلان أخرى عن موضعها إلى الأسفل مما زاد في دخول مياه الأمطار عبر هذه التشققات إلى جوف الكعبة فتم إصلاح السقف[4].

تم إعادة بناء الكعبة في عهد السلطان العثماني مراد الرابع ابن السلطان أحمد بن مراد بن سليمان القانوني 1032هـ-1049هـ/1623م-1640م، وذلك بسبب حدوث سيل عظيم اسقط من البيت الشريف الجدار الشامي من الجدار الشرقي إلى حد الباب ومن الجدار المغربي نحو ثلثه وكان

---

(1) سعيد بن حسين عثمان، الاعتداءات على الحرمين...، المرجع السابق، ص 83.

(2) الميزاب لفظ فارسي معناه قناة أو أبنوية مياه، وهو عبارة عن صفيحة من المذهب موجودة فوق سطح الكعبة، أنظر: مصطفى عبد الكريم الخطيب، معجم المصطلحات والألقاب...، المرجع السابق، ص 416.

(3) كشميري، المرجع السابق، ص 219.

(4) نفسه، ص 220.

سقوطه[1] سنة 1049هـ/1639م وحصل قبل ذلك بسبب عديدة تشقق في زمن السلطان أحمد خان والد السلطان مراد الرابع، لذلك قام السلطان أحمد خان بعمل ما لدعم بناء الكعبة المتداعي، وبالرغم من ذلك بقيت الجدران آنذاك من دون مساس، وبدلا من ذلك تم تدعيم البناء من الخارج بمجموعة من الدعائم وتم استبدال ميزاب مياه الأمطار في الكعبة كما تم استبدال معظم السقف الخارجي للكعبة وجرى إصلاح الجدران، وقد استعملت المواد الثمينة بغزارة فبالإضافة إلى صنبور مياه الأمطار المصنوع من الذهب الصافي حظيت الأعمدة الثلاثة داخل الكعبة بزخرفة من الذهب والفضة[2].

ومع هذا لم تساهم أعمال الترميم التي جرت في أيام السلطان أحمد في دعم بناء الكعبة، خاصة عندما تعرضت الكعبة لسيل عظيم سنة 1039هـ/1629م الأمر الذي جعل السلطان مراد الرابع يعيد بناء الكعبة المشرفة[3]، خاصة وان هذا السيل كان هداما دام ثلاث أيام كاملة وصلت المياه إلى باب الكعبة[4]، تولى أعمال البناء والي مصر محمد باشا الألباني 1040هـ/1630م الذي أرسل مهندسين وعمال مصريين أما عن السبب الذي دفع والي مصر للتدخل هو قرب موسم الحج بالإضافة إلى ازدياد التصدع في الكعبة المشرفة وقام ناظر العمارة المصري وناظر العمارة العثماني بالتشاور مع الاشراف والاعيان على إعمار ما يلح عمله للكعبة المشرفة واتفقوا على ترميم ما تهدم من الجدران وإعادة الأحجار المنهارة إلى مكانها لكنهم ما كادوا يفعلون ذلك حتى سقطت أمطار غزيرة مما ضاعف من زيادة الاجزاء المتهدمة واصبح من الواضح عدم جدوى الترميم وأن الضرورة تقتضي هدم الكعبة[5].

---

(1) بيومي، مخصصات...، المرجع السابق، ص 278.

(2) فاروقي، المرجع السابق، ص 187.

(3) بيومي، نفسه، ص 278.

(4) فاروقي، نفسه، ص 188.

(5) بيومي، نفسه، ص 289.

فتم وضع ستار حول الكعبة وقد عهد أمر البناء إلى رضوان بك وهو مصري لم يكن مهندسا ولا معماريا بل كان إداريا ومنسقا وسياسيا تم تنظيف باحة المسجد الحرام ووضع ستار حول الكعبة التي لا تظهر للحجاج والمعتمرين ولم ينزع هذا الستار إلا بعد انتهاء عمليات إعادة بناء الكعبة تقريبا. حفظت جميع عناصر المبنى بعناية فائقة وسحبت الزخرفات الذهبية والفضية من الربطات الحديدية التي تدعم جدران الكعبة، بقي الحجر الأسود وحده في مكانه الأصلي[1].

انتهى بناء الكعبة على أحسن وجه سنة 1040هـ/1630م ومنذ ذلك الحين اهتم ولاة الأمر من المسلمين بترميم وإصلاح الكعبة الشريفة حتى يومنا[2].

وفي سنة 1099هـ/1687م تم تغيير إفريز السطح الذي يربط فيه الكسوة لأنه تآكل وفي سنة 1100هـ/1688م طلع الشريف بنفسه إلى سطح الكعبة لتغيير نفس الإفريز وقد جاء الأمر من السلطان لعمارة ما يحتاج إليه، وفي سنة 1102هـ/1694م تم ترميم احد جدران الكعبة وفي سنة 1109هـ/1697م حدث خراب في السقف تم إصلاحه بحضور أمير الحاج المصري والأشراف والأعيان[3].

- **إنارة وتطييب المسجد الحرام:**

لقد كانت مسؤولية إنارة وتعطير المسجد الحرام ملقاة على عاتق الحكومة العثمانية، غير أن الستة القنطارات من الشمع التي كانت ترسل من طرف الحكومة المركزية والمخصصة لإنارة المسجد الحرام ليلا لم تكن كافية، فتم مضاعفة هذه الكمية وأصبحت الكعبة المعظمة تنار بثمان شموع تزن الواحدة منها حوالي ثمانية كيلو غرام أما باحة المسجد فقد كانت تنار بثلاثمائة وسبعة وثمانون

---

[1] فاروقي، المرجع السابق، ص 191-192.

[2] كشميري، المرجع السابق، ص 281.

[3] بيومي، المرجع السابق، ص 281.

مصباحا[1]. كان السلاطين العثمانيون يصرفون على الحرمين الشريفين من خزينة مصر للعناية بهما، تمثلت هذه الإجراءات في:

- ثمن زيت إرسالية الحرمين الشريفين 104.241 بارة، وقد ارتفع هذا المبلغ عام 1213هـ/1798م إلى 117.032 بارة في العام.
- ثمن قناديل إرسالية الحرمين 9290 بارة في العام[2].

أما العطور فقد كانت ترش مرتين في السنة فوق الكعبة وقد كانت تعطر من خشب الصندل وماء الزهر والعنبر والمسك[3]، وقد كانت هذه البخور تأتي سنويا من القسطنطينية[4].

وفي سنة 959هـ/1551م تم ترميم حجر إسماعيل[5] بعد تفكك بعض أحجاره وجدد رصف المطاف في نفس العام ضمن ترميمات الكعبة ثم أعيد رصف المطاف سنة 1000هـ/1591م بالرخام بدلا من الحجارة وعملت دائرة أخرى حوله شملت المناطق المحيطة بالمقام الحنفي كما مدت أربعة ممرات من الدائرة إلى كل من باب السلام وباب الصفا، وباب العمرة، وباب الحزورة ثم انجاز هذا المشروع سنة 1003هـ/1594م[6].

كما تم ترميم مقام سيدنا إبراهيم سنة 1000هـ/1591م حيث تم إصلاح سقف المقام، وفي سنة 1072هـ/1661م ثم نقش قبة المقام بالذهب، وفي سنة 1120هـ/1708م تم تغيير جميع المقام وجددوا البناء حول حجر المقام بالرخام وحدد ما كان محتويا على موضع قدم إبراهيم عليه السلام

---

[1] فاروقي،المرجع السابق، 172.

[2] سميرة علي عمر، المرجع السابق، ص 332.

[3] فاروقي، نفسه، 173.

[4] حسين عبد الله سلامة، تاريخ الكعبة المعظمة عمارتها وكسوتها وسدانتها، ط1، د.ت.ن، ص 363.

[5] كشميري، المرجع السابق، ص 221-222.

[6] بيومي، المرجع السابق، ص 293.

بالفضة المطلية بالذهب[1]. مصادقا لقوله تعالى:﴿إِنَّمَا يَعۡمُرُ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ مَنۡ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَلَمۡ يَخۡشَ إِلَّا ٱللَّهَۖ فَعَسَىٰٓ أُوْلَٰٓئِكَ أَن يَكُونُواْ مِنَ ٱلۡمُهۡتَدِينَ﴾التوبة: ١٨ أما المسجد الحرام فقد بني وطورت عمارته فقد قام السلطان سليمان القانوني سنة 979هـ/1571م بهدم رواقات الحرم المكي لضعفها وبنى مكانها قباب عالية بلغ عددها 120 قبة كما جدد أبواب المسجد الحرام ولم يبق فيه البناء القديم إلى البيت العتيق[2]، وقام بتجديد مآذن الجامع الكبير. فعندما اعتلى العرش كان الجامع مزود بستة مآذن، وقام سنة 931هـ/1524م ببناء مئذنة أخرى وعند نهاية حمكه أضاف السلطان سليمان القانوني مئذنة تبهر العين يعلوها الشاهق جاعلا عدد المآذن يرتفع إلى سبع مآذن[3]، وأعطى أمره إلى سنان باشا[4]والي مصر إصلاح الجانب الشرقي مال نحو الكعبة الشريفة بحيث برزت رؤوس خشب السقف الثالث منه عن محل تركيبها في جدار المسجد الحرام[5].

وعندما تولى الحكم السلطان مراد الثالث أكمل إنجاز المسجد الحرام فتم إنجاز الجانب الغربي والجنوبي من المسجد الحرام بجميع قببه وشرفاته ودرجاته من الخارج والداخل وفي سنة 984هـ/1576م أصبح المسجد الحرام نزهة للناظرين[6]، أما أبواب المسجد الحرام فقد بلغت خلال العهد العثماني

---

[1] يوسف الملواني ابن الوكيل، تحفة الأحباب بمن ملك مصر من الملوك والنواب، تح، محمد الششناوي، ط1، دار الآفاق العربية، القاهرة، مصر، 1999، ص 90.

[2] حجر إسماعيل عليه السلام عريشا إلى جانب الكعبة المعظمة وهو عل شكل نصف دائرة، وقد كان زربا لغنم إسماعيل وهذا يدل على أن الحجر لم يكن من البيت المعظم وإنما كان زربا خارجا عنه، أنظر: حسين بن عبد الله سلامة، تاريخ الكعبة المعظمة عمارتها وكسوتها وسدانتها، ط1، د.ت.ن

[3] فاروقي، المرجع السابق، ص 167.

[4] سنان باشا، الجرسكي الاصل قدم وتولاها ثلاث مرات عام 975هـ/1567م وعام979هـ/1571م وعام 993هـ/1585م 993هـ/1585م له العديد من الثار في الشام ومصر والحجاز، أنظر: الصباغ، تحصيل المرام...، المصدر السابق، ص 366.

[5] الطبري، المصدر السابق، ص 167.

[6] الصباغ، نفسه، ص 370.

تسعة عشر بابا في مختلف الجهات[1]، أما الأبواب التي شملها الإصلاح والتجديد هي باب الدوادية وباب السلام والسليمانية بني سنة 959هـ/1551م و973هـ/1565م[2].

كما تم تعمير المسجد الحرام في عهد السلطان عبد الحميد الثاني عام 1314هـ/1896م، كما عمره كذلك السلطان محمد رشاد في عام 1327هـ/1909م، حتى بلغ ما أنفقه العثمانيون على العمائر في المسجد الحرام ما يقارب المائة ألف جنيه عثماني[3].

أما المسجد النبوي فقد اهتم العثمانيون بعمارته وأجريت عليه بعض الإصلاحات وظل المسجد النبوي على حاله حتى سنة 1265هـ/1849م، عندما ظهرت تشققات على بعض جدرانه وقبابه وسقفه[4]، ففي سنة 998هـ/1589م أرسل السلطان مراد الثالث منبرا للمسجد النبوي له اثنتا عشرة درجة ثلاث منها خارج بابه وسبع منها داخله[5]، وفي سنة 1265هـ/1849م أرسل شيخ شيخ الحرم النبوي دواد باشا إلى السلطان العثماني عبد المجيد خان كتابا يخبره بحالة المسجد النبوي فأمر السلطان بتجديد عمارة المسجد بشكل عام وأرسل الصناع المهرة والأموال اللازمة واستمرت أعمال الزخرفة والبناء إلى عام 1277هـ/676م، وكان مقدار هذه الزيادة 1293م^2 فأصبحت المساحة الكلية للمسجد النبوي 1030م^2 وارتفعت جدرانه إلى 11م^2 وعدد الأروقة 19 رواق والأبواب خمسة أبواب والمآذن خمسة يتراوح ارتفاعها ما بين 47.50 و 60 متر وأصبح عدد الأعمدة 327 عمود والقباب مائة وسبعين قبة[6].

---

(1) بيومي، المرجع السابق، ص 288.

(2) كشميري، المرجع السابق، ص 231.

(3) سعيد بن حسين عثمان، الاعتداءات...، المرجع السابق، ص 83-84.

(4) الملغوث، أطلس الحج والعمرة...، المرجع السابق، ص 235.

(5) بيومي، نفسه، ص 291.

(6) الملغوث، نفسه، ص 235.

2. الملحقات المباركة الخاصة بالكعبة:

- كسوة الكعبة[1]:

كانت الكعبة تكسى في زمن الرسول عليه الصلاة والسلام في يوم عاشوراء، فعن خالد بن أبي المهاجر قال أن النبي عليه الصلاة والسلام خطب الناس يوم عاشوراء فقال: "**هذا يوم عاشوراء، يوم تنقضي فيه السنة وتستمر فيه الكعبة وترفع فيه الأعمال**" ويقال أنه من كسى الكعبة بالديباج هو الحجاج بن يوسف الثقفي ويقال أنه يزيد بن معاوية ويقال عبد الله بن الزبير وهناك من يقول عبد الملك بن مروان[2].

وكانت الكعبة المشرفة بعد الخلفاء العباسيون تكسي تارة من قبل سلاطين مصر وتارة من قبل سلاطين اليمن، وأول من كسى الكعبة بعد الخلفاء العباسيين الملك المظفر يوسف بن المنصور صاحب اليمن سنة 655هـ/1257م، وأول من كساها من الملوك الترك الظاهر بيبرس البندقداري[3].

استمرت الكسوة ترسل من مصر كل عام فقد كانوا يرسلون عند تجدد كل سلطان كسوة سوداء تكسي ظاهر البيت الشريف وكسوة حمراء لداخل البيت وكسوة خضراء للحجرة النبوية على ساكنها أفضل صلاة وأزكى سلام. مكتوب على كل من الكسوة السوداء والحمراء والخضراء، لا إله إلا الله محمد رسول الله[4]، عرض الطراز ذراعان تقريبا مكتوبا بالفضة مذهبا على جانب الكعبة بعد البسملة ﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِّلْعَالَمِينَ ﴿٩٦﴾ فِيهِ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ مَّقَامُ إِبْرَاهِيمَ ۖ وَمَن دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا ۗ وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا ۚ وَمَن كَفَرَ

---

[1] أنظر الملحق رقم 12، ص 140.

[2] محمد بن عبد الله بن أحمد الأزرقي، أخبار مكة وما جاء فيها من الآثار، در، تح، عبد الملك بن عبد الله بن دهيش، ط1، مكتبة الأسدي للطباعة والنشر، مكة المكرمة، المملكة العربية السعودية، 2003، ص 355-356.

[3] الصباغ، المصدر السابق، ص 154-155.

[4] عبد الله الغازي المكي، المصدر السابق، ص 436.

فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴾ آل عمران: ٩٦ – ٩٧ وبين الركن اليماني مكتوب بعد البسملة: ﴿ ۞ جَعَلَ ٱللَّهُ ٱلۡكَعۡبَةَ ٱلۡبَيۡتَ ٱلۡحَرَامَ قِيَٰمٗا لِّلنَّاسِ وَٱلشَّهۡرَ ٱلۡحَرَامَ وَٱلۡهَدۡيَ وَٱلۡقَلَٰٓئِدَۚ ذَٰلِكَ لِتَعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يَعۡلَمُ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِ وَأَنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٌ ﴾ المائدة: ٩٧ وبين الركن اليماني والغربي مكتوب بعد البسملة: ﴿ وَإِذۡ يَرۡفَعُ إِبۡرَٰهِـۧمُ ٱلۡقَوَاعِدَ مِنَ ٱلۡبَيۡتِ وَإِسۡمَٰعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلۡ مِنَّآۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ ١٢٧ رَبَّنَا وَٱجۡعَلۡنَا مُسۡلِمَيۡنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَآ أُمَّةٗ مُّسۡلِمَةٗ لَّكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبۡ عَلَيۡنَآۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴾ البقرة: ١٢٧ – ١٢٨ وبين الركن اليماني والشامي مكتوب بعد البسملة عبارة :مما أمر بعمل هذه الكسوة الشريفة العبد الفقير السلطان فلان[1].

سار السلاطين آل عثمان على نفس النهج المملوكي حيث اهتم السلطان سليم الأول أثناء إقامته بمصر بإعداد الكسوة وإرسالها رغم أحداث الفتح التي أدت إلى تأخير خروج قافلة الحج المصري فقد أعد كسوة فاخرة مزركشة كلها وكتب اسمه عليها[2]، كما أرسل كسوة إلى مقام إبراهيم[3]، كانت كسوة الكعبة تغير كل سنة ويؤتى بالكسوة القديمة إلى اسطنبول وترسل إلى سراي طوبقابو بعد عرضها على الشعب باحترام كبير في جامع أبي أيوب تجدد ستارة الكعبة التي تصنع من الأطلس الأخضر كل سبع سنوات بحيث يصادف موعد تبديلها وقت الحج الأكبر[4].

وبعد السلطان سليم خان الأول أوقف السلطان سليمان القانوني في صفر سنة 947هـ حزيران 1540م إيرادات سبع قرى لكسوة الكعبة إضافة إلى القريتين التي خصصها الملك المنصور قلاوون المملوكي لصنع الكسوة ومنذ عهد السلطان أحمد الأول 1012هـ-1025هـ/1603م-

---

[1] الصباغ، المصدر السابق، ص 155.

[2] الرشيدي، حسن الصفا...، المصدر السابق، ص 14.

[3] بيومي، المرجع السابق، ص 260.

[4] أوزوتونا، المرجع السابق، مج2، ص 819.

1616م، أصبحت الكسوة تصنع في اسطنبول[1]، وقبل هذا كانت الكسوة تصنع بمصر في قلعة صلاح الدين الأيوبي[2]، وعندما اعتلى السلطان أحمد الأول كسى الكعبة الشريفة من الحرير الفائق وكذلك قام بكسوة الحجرة النبوية[3]، أرسلت الستارة الشريفة في أواخر جمادى الأولى 1018هـ/آب 1609م إلى مصر عن طريق البحر ومنها إلى الكعبة[4].

إضافة إلى كسوة الكعبة فقد أرسلت كسوة إلى مقام سيدنا إبراهيم الخليل عليه السلام وكسوة حجر إسماعيل وكسوة الحجرة النبوية وبعض الأضرحة[5].

- **نطاق الكعبة وستار باب الكعبة:**

نطاق الكعبة يقع في وسط غطاء أو حجاب الكعبة يتألف من أربع قطع خصص كل واحد منها لإحدى واجهات الكعبة ويكتب على النطاق بخيوط من الذهب الخالص آيات قرآنية، أما ستار باب الكعبة فقد كانت ترسل من قبل أمير مكة المكرمة إلى اسطنبول في سنوات الحج الأكبر وهناك يزودها الناس وهي داخل الصندوق في الباب العالي، إن ستارة باب الكعبة تعمل من الأطلس الأخضر وفي أطراف الستارة إطار من رقائق خشب البلوط المثبتة بخيوط الذهب وتنسج سور الفاتحة وآيات أخرى داخل هذا الإطار كما يوضح اسم الجلال (الله) بين آيات سورة الفاتحة[6].

- **تحلية الحجر الأسود:**

أرسل السلطان عبد المجيد خان طوقا من الذهب الخالص للحجر الأسود وقد كان هذا الأخير يطوق بطوق من فضة وضع الطوق المذهب محل الطوق الأول وكان في غاية الإتقان من التنقيش ومكتوب حوله آية الكرسي وبعض الآيات القرآنية وفي سنة 1281هـ/1864م أرسل

---

[1] إسماعيل حقي جارشيلي، أشراف مكة وأمرؤها...، المرجع السابق، ص 212.

[2] بيومي، المرجع السابق، ص 260.

[3] ابن الوكيل، تحفة الأحباب...، المصدر السابق، ص 92.

[4] جارشيلي، نفسه، ص 122.

[5] بيومي، نفسه، ص 263-264.

[6] جارشلي، نفسه، ص 125-126.

السلطان عبد العزيز خان طوقا من الفضة للحجر الأسود وقلع الطوق الذهبي الذي أرسله السلطان المجيد خان، أما عن إصلاح الحجر الأسود فقد تم إصلاحه في عهد السلطان عبد الحميد الثاني[1].

ساهم العثمانيون مساهمة كبيرة في رعاية الحرمين الشريفين وذلك من خلال الاهتمام بمسجد الحرام والمسجد النبوي وكذلك عمارة الكعبة المعظمة وترميمها وإرسال الكسوة إليها سنويا. وبذلك يكون العثمانيون قد أدووا الدور المنوط بهم

[1] حسين عبد الله سلامة، تاريخ الكعبة...، المرجع السابق، ص 209.

خاتمة

خاتمة:

أثناء تناولنا الموضوع الحج في العهد العثماني بين التأمين والحماية لمسنا الجهد الذي بذله العثمانيون في سبيل جعل الحج ملتقًا إسلاميا جامعا، ومن خلال دراستنا المتواضعة استخلصنا جملة من النتائج نوجزها في الآتي:

منذ أن فرض الحج إلى البقاع المقدسة وهو يكتسي قدسية ومهابة كبيرة لدى سائر الشعوب الإسلامية وحكامها الذين توالوا على حكم المسلمين، وعلى هذا الأساس فإن العثمانيين ساروا على نهج الحكام والخلفاء الذين سبقوهم. فاهتموا بهذا الركن المقدس ووفورا للحجاج كل عوامل الراحة حتى يجعلوه متوافقا مع مكانته في نفوس المسلمين، وعبروا عن اهتمامهم الكبير بشعيرة الحج من خلال تقديم العطايا والهبات وذلك حتى قبل أن يمتد نفوذهم إلى الحجاز. فقد سعى العثمانيون إلى ربط علاقات مع الحكام المماليك المتزعمين للعالم الإسلامي آنذاك، كما قدموا خدمات جليلة لأهالي الحرمين الشريفين تمثلت في إرسال مبالغ من المال لهم كل سنة عرفت "بالصرة".

وعندما تم ضم الحجاز إلى الحكم العثماني سنة 923هـ/1517م تضاعف الاهتمام بالحجاز عامة والحرمين الشريفين خاصة في جميع النواحي السياسية، الاقتصادية والاجتماعية. فمن الناحية السياسية أضاف ضم الحجاز صبغة دينية لحكم العثمانيين واضاف لهم لقبا اعتبروه شرفا لهم وهو "حامي الحرمين الشريفين" فقد كان هذا اللقب وسيلة لشرعنة الحاكم كحامٍ للحج بكل تأكيد. أما عن الحج كظاهرة اجتماعية فقد كان مؤتمرا جامعا يلتقي فيه المسلمون من كل بقاع الأرض من جهة، ومن جهة أخرى فقد وفرت الدولة العثمانية منشآت وخدمات في النواحي الصحية والتعليمية. في حين أن الناحية الاقتصادية تطورت وذلك أن الحج ساهم في تنشيط الحياة التجارية على اعتبار أن قوافله كانت تأتي محملة بالسلع والبضائع الموجهة للمتاجرة.

حافظ العثمانيون على نظام الحج الذي كان موجودا في العهد المملوكي وأضافوا فيه واهتموا به وجعلوه متاحا للراغبين فيه، كما اهتموا بمصر كون الحجاز مرتبطة بها ارتباطا مباشرا وأغلب

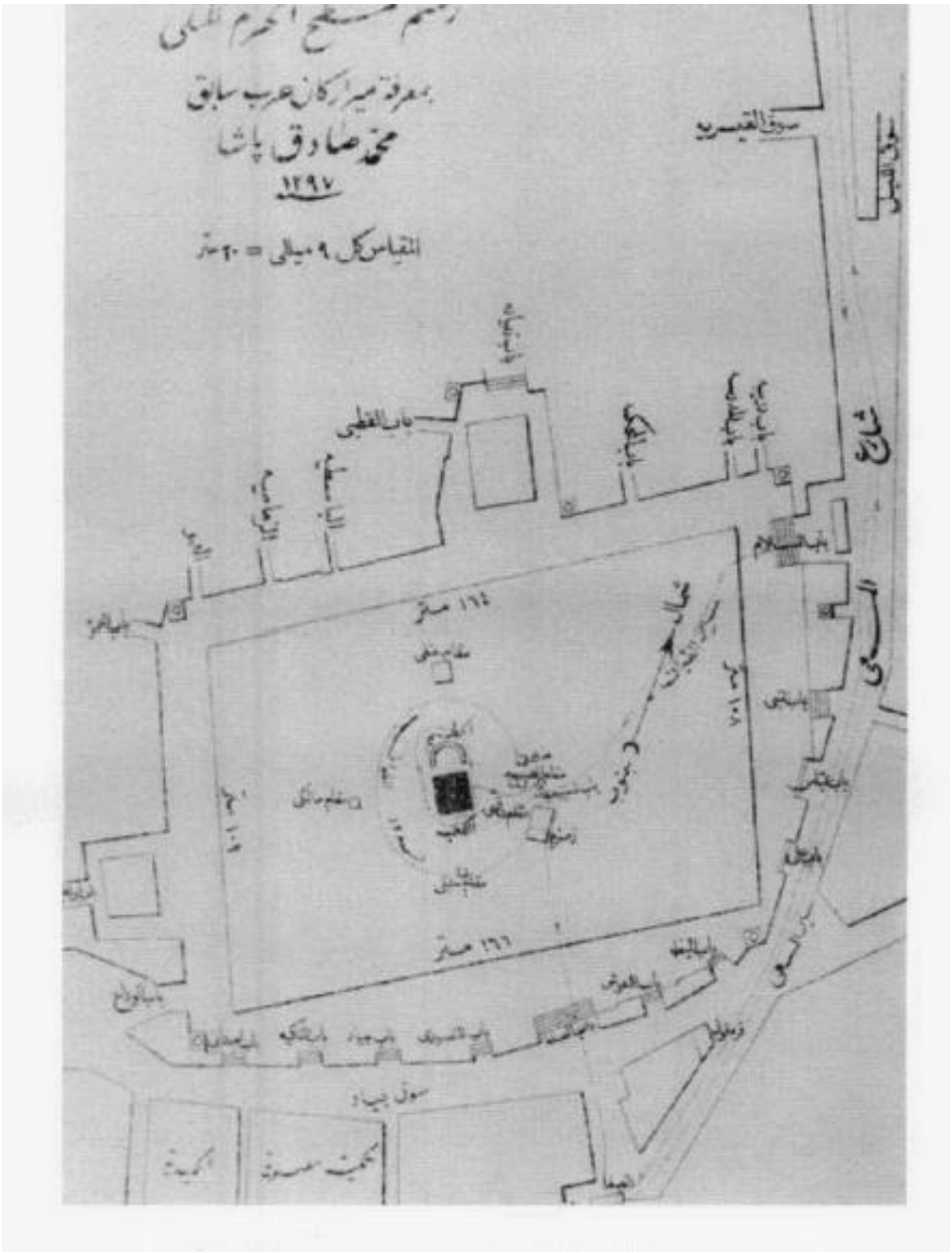
مخصصات الحرمين الشريفين موجودة بها. وقد انتهج السلطان سليم الأول سياسة ذكية في التعامل مع أشراف الحجاز وذلك لأن حكم الأشراف سار جنبا إلى جنب مع حكم العثمانيين؛ فلأشراف مثلوا السلطة الروحية والعثمانيون مثلوا السلطة السياسية.

أما عن قوافل الحج في العهد العثماني فقد كانت أربع قوافل ارتبطت بعواصم الكبرى للعالم الإسلامي فقد اهتمت الدولة العثمانية بهذه القوافل الأربعة – قافلة الشام وقافلة مصر وقافلة العراق وقافلة اليمن– كونها نشطت الحياة في مختلف المجالات، غير ان الاهتمام كان منصبا حول قافلة الحج الشامي والمصري؛ فلأولى لأنها تضم الحجاج القادمين من عاصمة السلطنة العثمانية والثانية لأنها تحمل معها المحمل الشريف، وحتى يبرز العثمانيون شغفهم بخدمة الحجاج سعوا إلى تأمين وحماية الحج وقوافله. فأمنت الحج من خلال توفير المنشآت المائية على طول طرق الحج وبالحرمين الشريفين ومونت الحجاج بالمؤن اللازمة وحتى تعين الحجاج على تحمل مشقة الطريق وتختصر المسافة من جهة ومواكبة التطور الحاصل خلال القرن الرابع الهجري العشرين ميلادي أنشأت سكة حديد الحجاز كما عينت على رأس القافلة ولاة الشام لإعطائها هيبة، وحمت الحجاج من خلال إنشاء القلاع والحاميات العسكرية وفرضت حزام أمن حول الحرمين الشريفين.

كما اهتم العثمانيون كذلك برعاية الحرمين الشريفين المكي والمدني وذلك من خلال إعمار وترميم الكعبة المعظمة وكسوتها وسدانتها فجعلوا سدانة الكعبة المعظمة في يد أشراف مكة المكرمة، فقد قام العثمانيون بتنشيط الحركة العمرانية في الحرمين الشريفين وحافظوا على بناء الكعبة الشريفة بعمليات الترميم والصيانة المتكررة لها كما اهتموا كذلك بعمارة المسجد النبوي وإصلاحه.

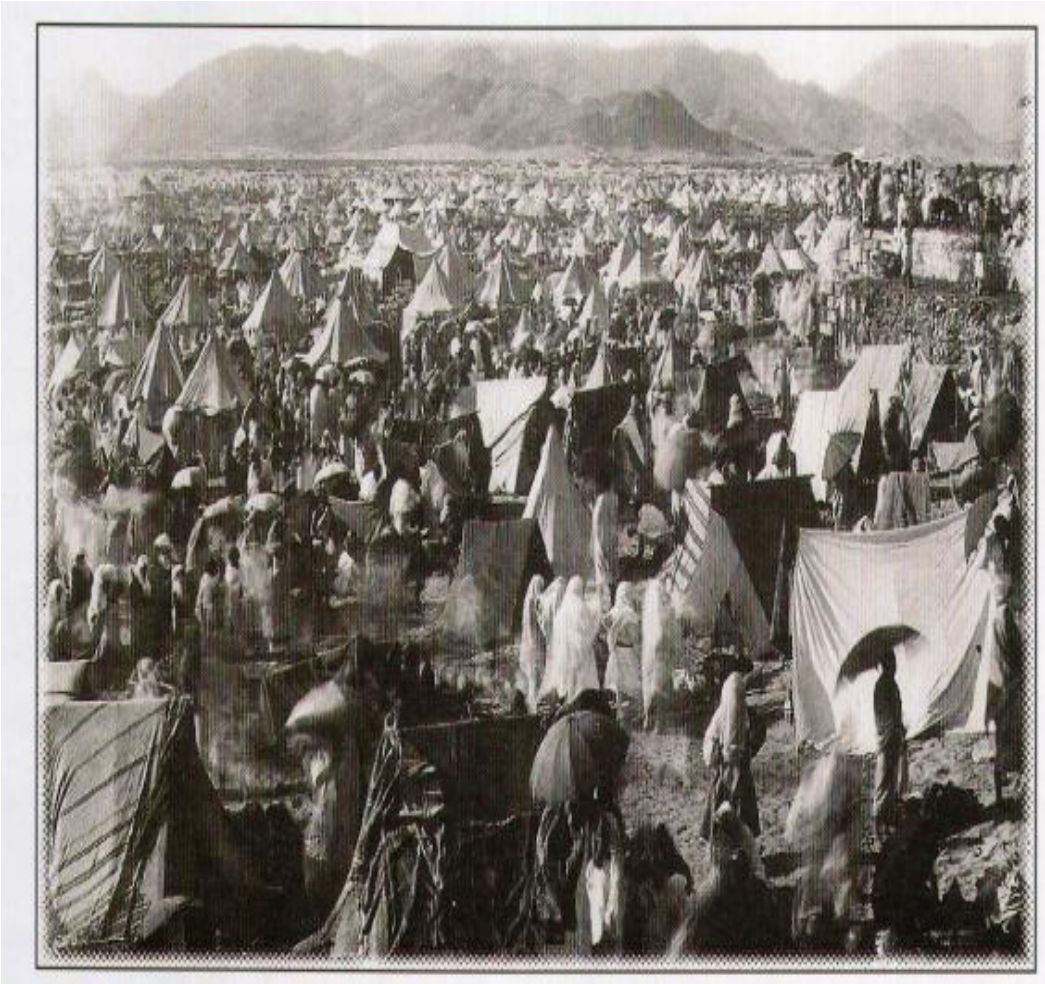
الملاحق

الملحق رقم 01: رسم سطح الحرم كما وضعه محمد الصادق عام 1861م[1].



[1] محمد الصادق، الرحلات الحجازية، المصدر السابق، ص 494.

الملحق رقم 02: مخيم الحجاج بمنى في القرن 14هـ/20م[1]



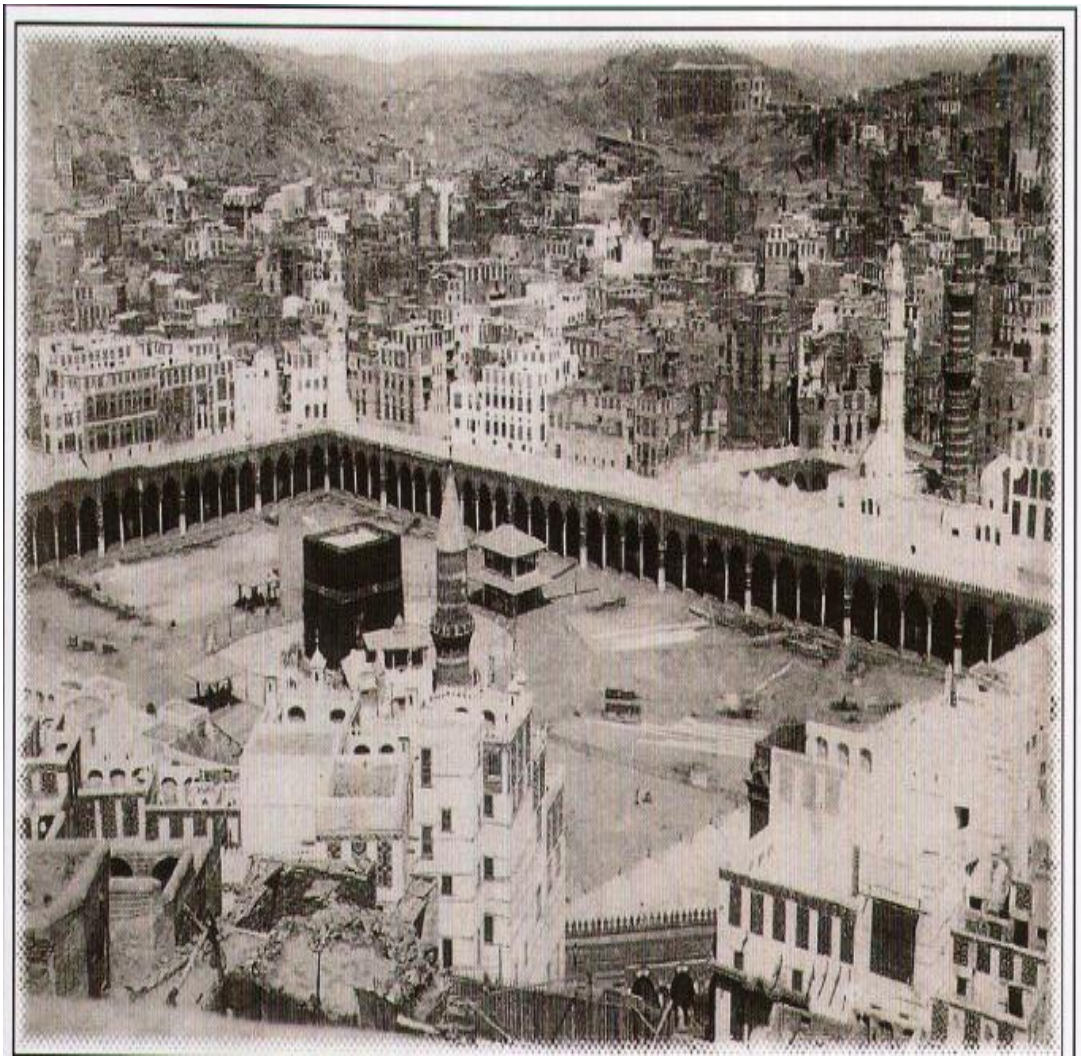
[1] سامي الملغوث، أطلس الحج، المرجع السابق، ص 139.

الملحق رقم03: طرق الحج إلى مكة المكرمة[1]



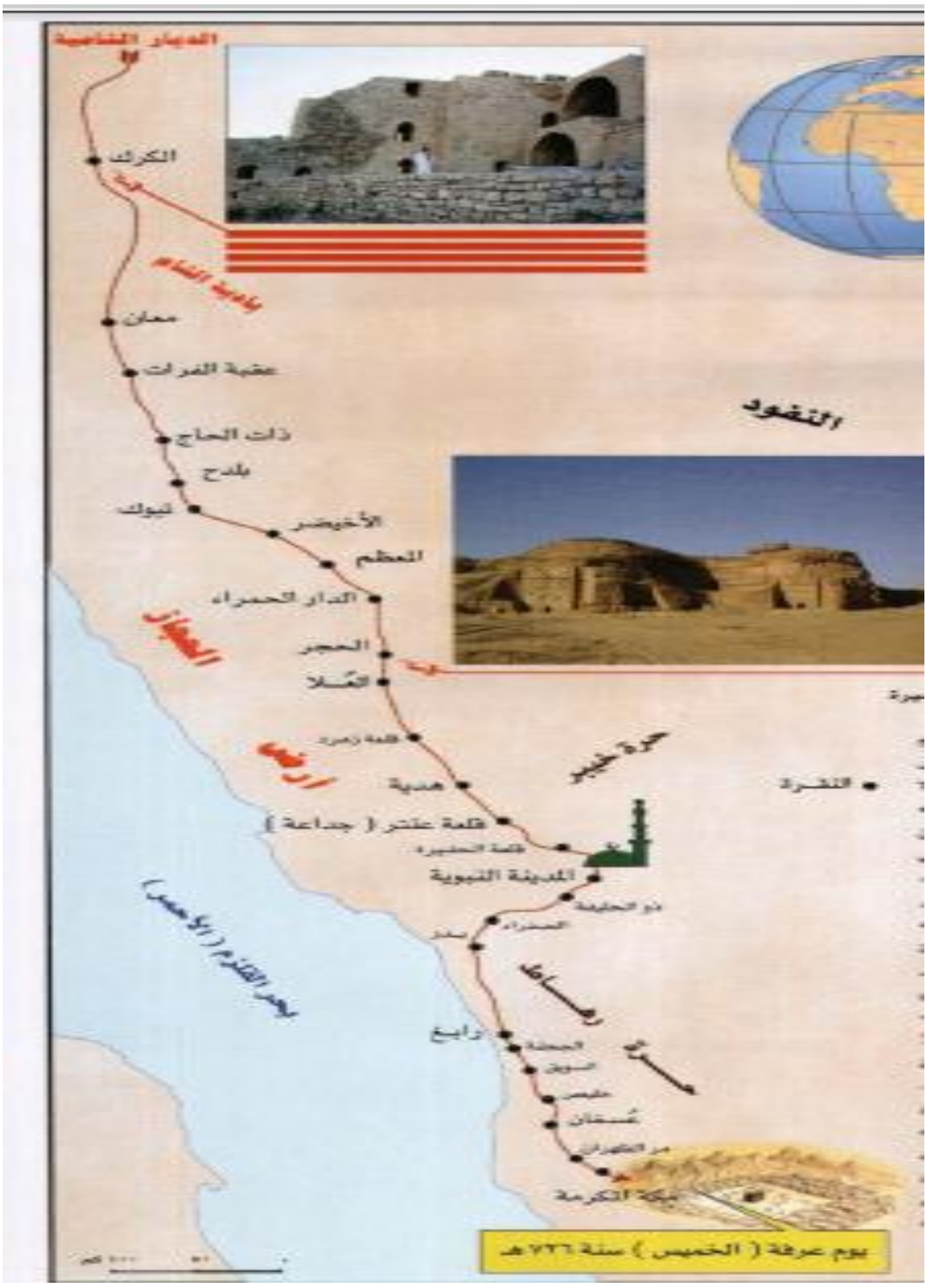
[1] ثريا فاروقي، المرجع السابق، ص 12.

الملحق رقم 04: منظر لمكة المكرمة والحرم الشريف في العهد العثماني[1]



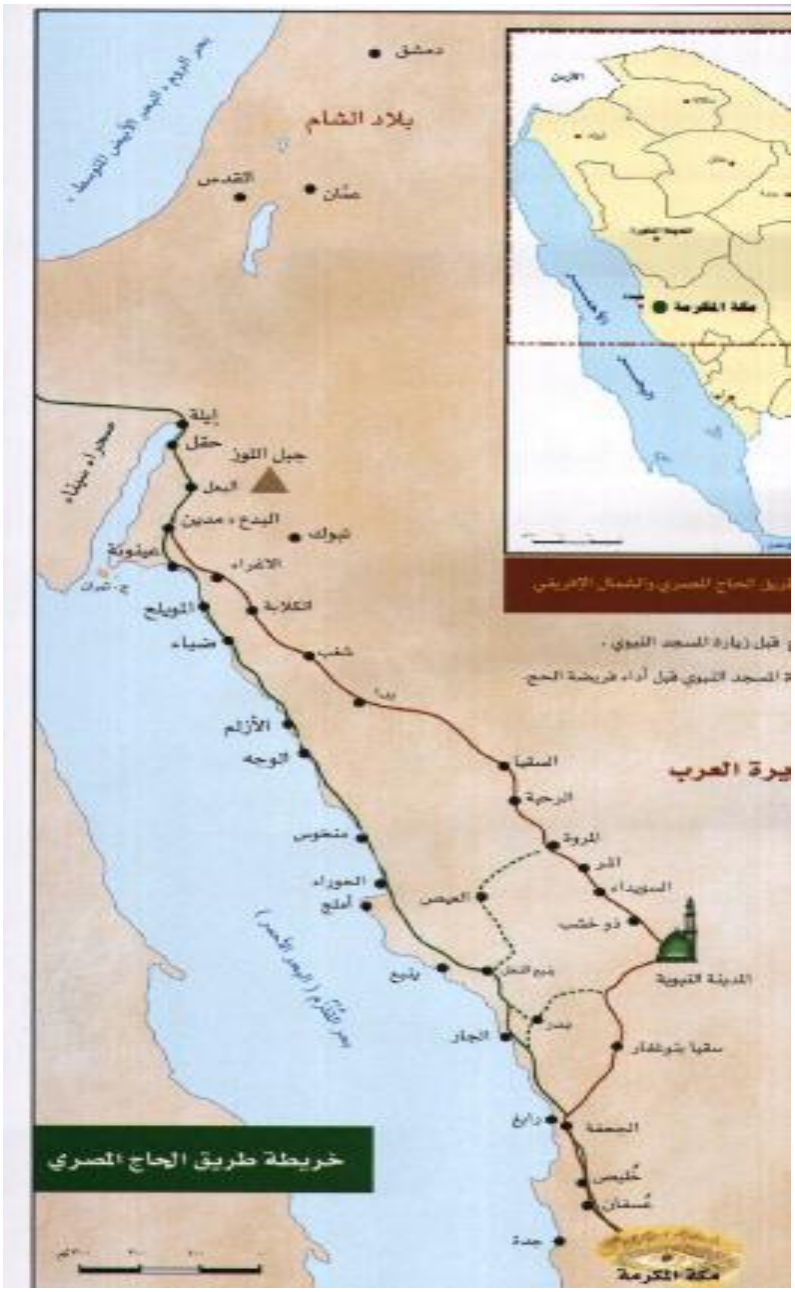
[1] الملغوث، نفسه، ص 137.

الملحق رقم 05: خريطة طريق الحج الشامي[1]



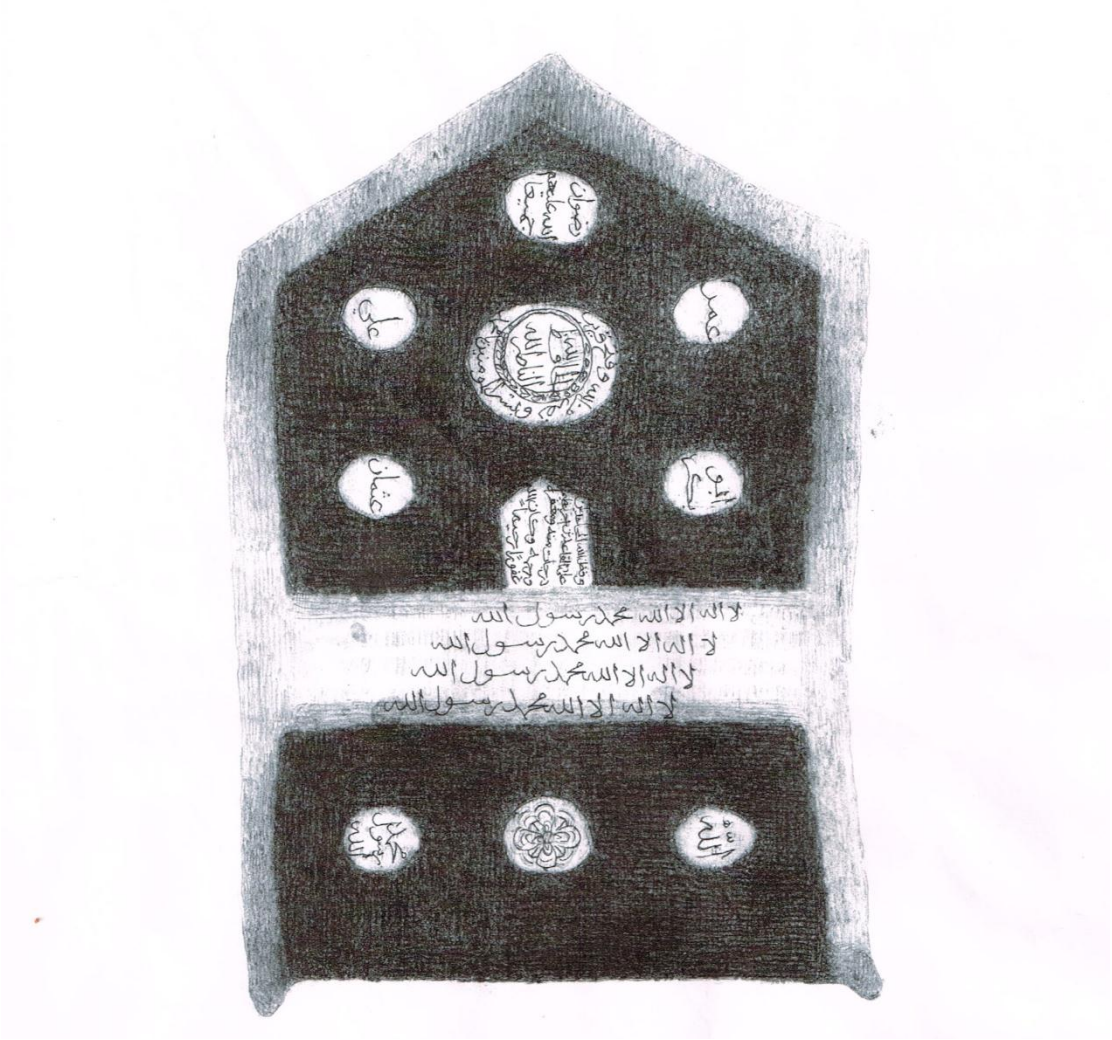
[1] نفسه، ص 106.

الملحق رقم 06: خريطة طريق الحج المصري[1]



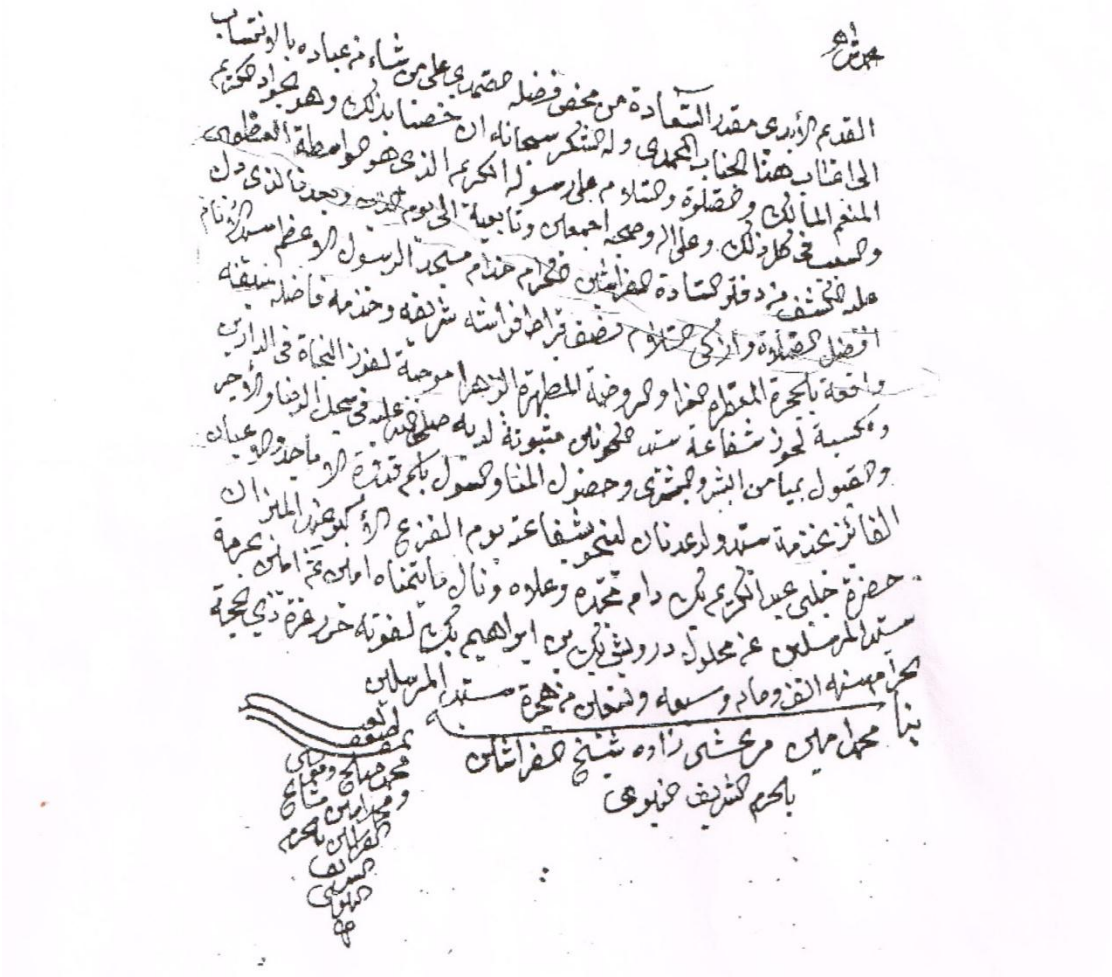
[1] نفسه، ص 116.

الملحق رقم 07: راية أمير قافلة الحج العراقي[1]



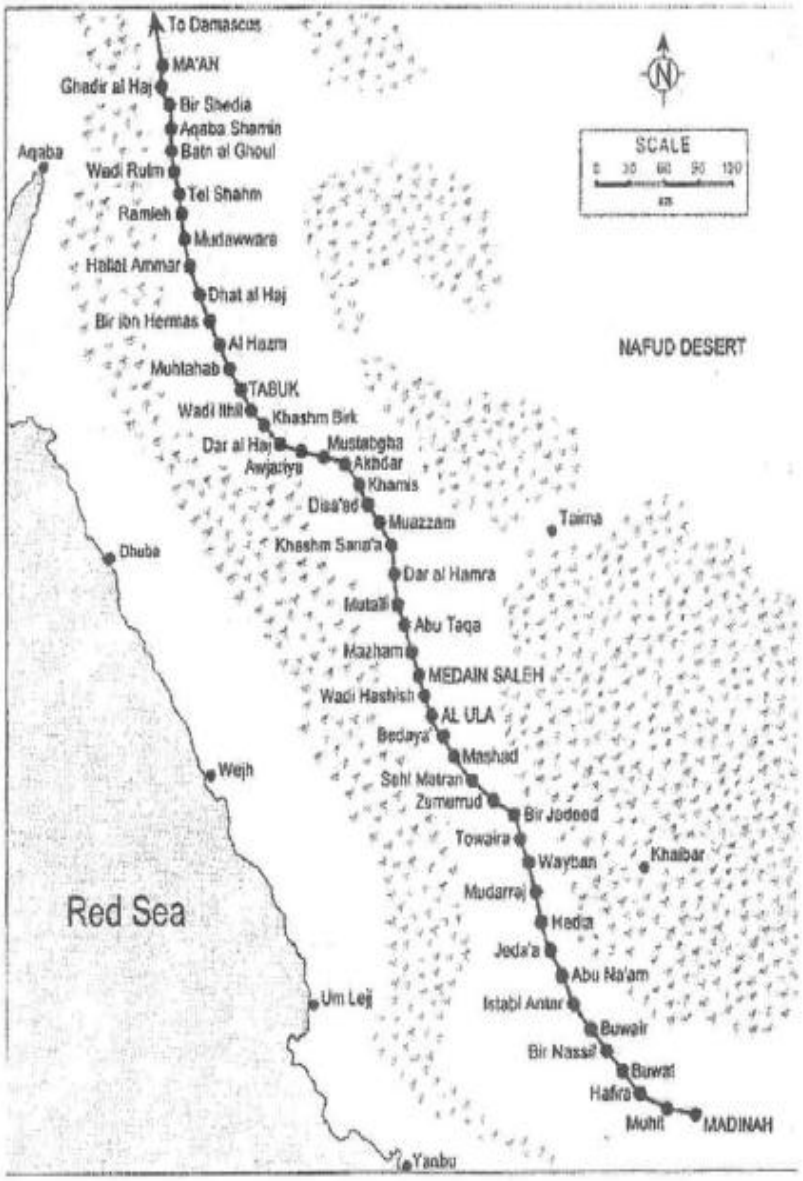
[1] السرحان، إمارة الحج العراقي...، المرجع السابق، ص 104.

الملحق رقم 08: وثيقة مؤرخة في غرة ذي الحجة سنة 1197هـ/1782م تتضمن إرسال مبلغ من المال إلى الفراشين في الحرم النبوي الشريف[1]



[1] السرحان، نفسه، ص 105.-

الملحق رقم 09: خريطة سكة حديد الحجاز[1]



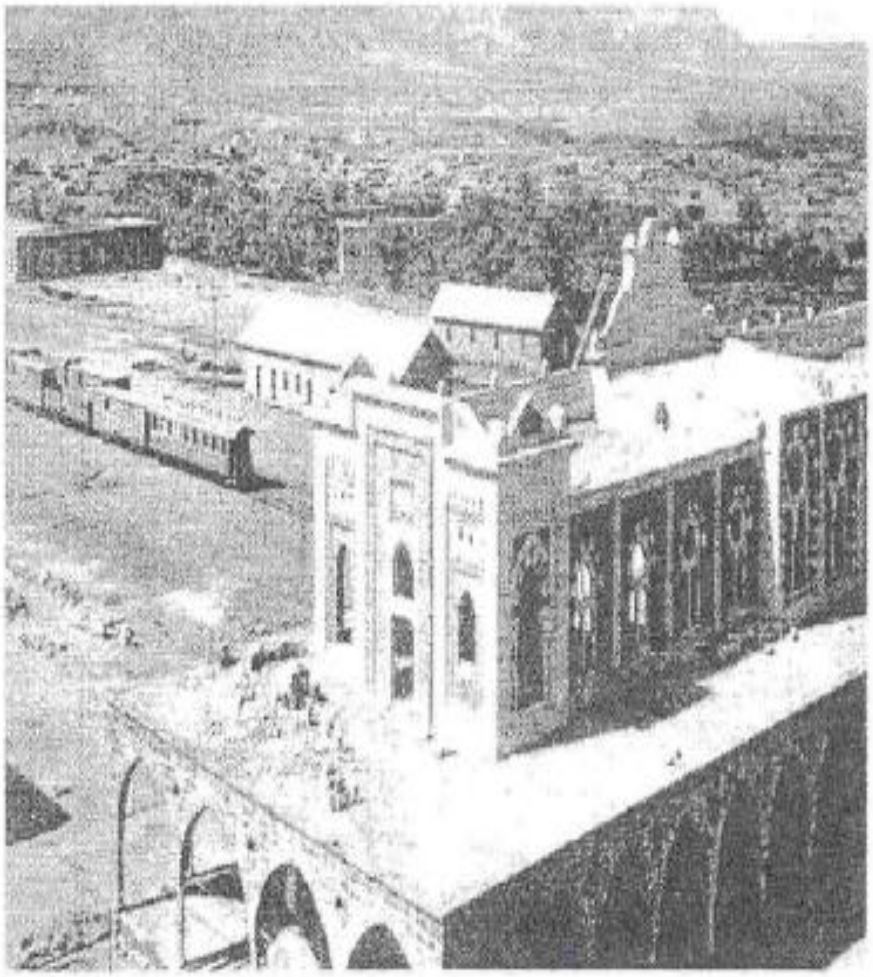
[1] محمد عبد الله آل زلفة، الإصلاحات العمرانية في الولايات العربية في عهد السلطان عبد الحميد الثاني على ضوء الوثائق والصور الفوتوغرافية، ط1، دار بلاد العرب للنشر والتوزيع، 2012م، ص 42.

الملحق رقم 10: صورة لنقل الحجاج قبل إنشاء الخط الحديدي[1]



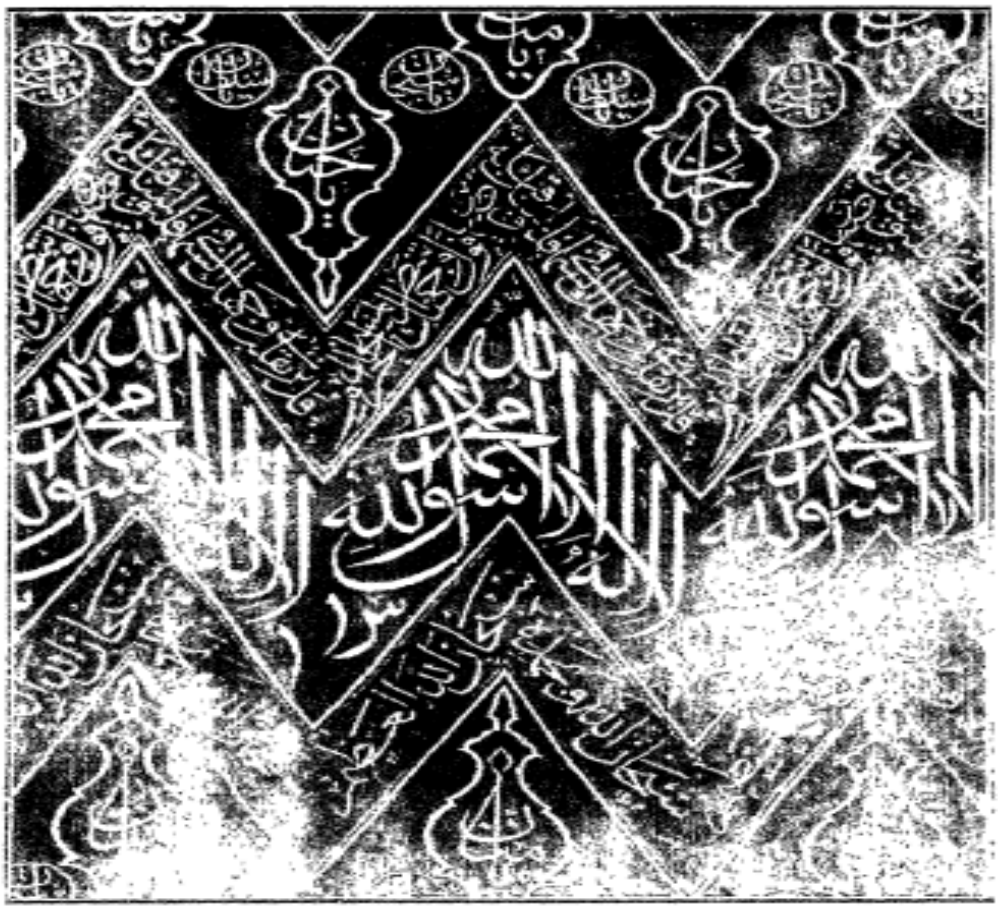
[1] محمد عبد الله آل زلفة، المرجع السابق، ص 43.

الملحق رقم 11: صورة لمحطة سكة حديد الحجاز من باب العنبرية بالمدينة المنورة[1]



[1] نفسه، ص 44.

الملحق رقم 12: كسوة السلطان عبد العزيز خان[1]



[1] حسين عبد الله سلامة، تاريخ الكعبة المعظمة...، المصدر السابق، ص 285


البيبليوغرافيا

البيبليوغرافيا

- **القرآن الكريم.**
- **السنة النبوية**
- **المصادر العربية:**

1. ابن إياس محمد بن أحمد الحنفي المصري، بدائع الزهور في وقائع الدهور، مج1،3، د.ط، مطابع الشعب، مصر، 1960.
2. الجزيري عبد القادر بن محمد الأنصاري الحنبلي، الدرر الفرائد المنظمة في أخبار الحاج وطريقة مكة المعظمة، تح، محمد حسن محمد حسن إسماعيل، ج1 و2، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 2002.
3. ابن الحمصي أحمد بن محمد بن عمر الأنصاري، حوادث الزمان ووفيات الشيوخ والأقران، تح، عبد العزيز فياض حرفوش، ط1، دار النفائس للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، 2000.
4. دحلان أحمد بن زني، تاريخ اشراف الحجاز، تح محمد أمين توفيق، ط1، دار السياقي، بيروت، لبنان، 1993.
5. الرشيدي أحمد، حسن الصفا والابتهاج بذكر من ولي إمارة الحاج، تح، ليلى عبد اللطيف أحمد، مكتبة الخنابجي، مصر، 1980.
6. الرمال ابن زنبل، آخرة المماليك أو واقعة السلطان الغوري مع سليم العثمانيين تح، عبد المنعم عامر، تق، عبد الرحمان الشيخ، ط2، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، 1998.
7. الأزرقي محمد بن عبد الله بن أحمد، أخبار مكة وما جاء فيها من الآثار، تح، عبد الملك بن عبد الله بن دهيش، ط1، مكتبة الأسدي للطباعة والنشر، مكة المكرمة، المملكة العربية السعودية، 2003.

8. زادة طاشكبري، الشقائق النعمانية في علماء الدولة العثمانية، د.ط، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، 1975.
9. صادق محمد باشا، الرحلات الحجازية، تح، محمد همام فكري، ط1، بدر للنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، 1999.
10. الصباغ محمد ابن أحمد بن سالم بن محمد المالكي المكي، تحصيل المرام في أخبار البيت الحرام والمشاعر العظام ومكة والحرم وولاتها، الفخام، تح، عبد الملك بن عبد الله بن دهيش، ج1، ط1، مكتبة الاسدي للنشر والتوزيع، مكة المكرمة، المملكة العربية السعودية، 2004.
11. الطبري علي بن عبد القادر، الإرج المسكي في التاريخ المكي وتراجم الملوك والخلفاء، تح، أشرف أحمد الجمال، ط1، المكتبة التجارية، مكة المكرمة، المملكة العربية السعودية، 1996.
12. الغازي عبد الله المكي الحنفي، إفادة الانام بذكر أخبار البلد الحرام، تح، عبد الملك بن عبد الله بن دهيش، مج1و2و3، ط1، مكتبة الاسدي للنشر والتوزيع مكة المكرمة، المملكة العربية السعودية، 2009.
13. الفاكهي عبد الله محمد بن إسحاق، أخبار مكة في قديم الدهر وحديثه، تح، عبد الله بن عبد الملك بن دهيش، ج2، ط2، دار خضر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، 1994.
14. القريش سليمان، مج1، ط1، دار السويدي للنشر والتوزيع أبوظبي الإمارات العربية المتحدة، 2006.
15. اللواتي شمس الدين أبي عبد الله محمد بن عبد الله، تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار (رحلة ابن بطوطة)، تق، عبد الهادي التازي، مج1، د.ط، مطبوعات أكاديمية المملكة المغربية، المغرب، 1997.

16. المحامي محمد فريديك، تاريخ الدولة العلمية العثمانية، تح، إحسان حقي، ط1، دار النفائس، بيروت، لبنان، 1981.
17. الموسوي محمد بن عبد الله الحسيني، رحلة الشتاء والصيف، تح، محمد سعيد الطنطاوي، ط2، المكتب الإسلامي للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، 1955.
18. النجم عمر بن فهد، اتحاف الورى بأخبار أم القرى، تح، فهيم محمد شلتوت، ج3، د.ط، دار الجيل للطباعة، القاهرة، مصر، د.ت.ن.
19. ابن الوكيل بوسف الملواني، تحفة الأحباب ابن ملك مصر من الملوك والنواب، تح، محمد الششناوي، ط1، دار الآفاق العربية، القاهرة، مصر، 1999.

- **المصادر المترجمة:**

1. اوليا جلبي، سياحت نامة مصر، تر، محمد علي عوني، تح، عبد الوهاب، عزام، أحمد السعيد سليمان، تق، أحمد فؤاد متولي، ط1، دار الكتب والوثائق القومية، القاهرة، مصر، 2003.
2. فالين جورج أوغست، صورة من شمالي جزيرة العربية، تر، سمير سليم شبيلي، ط2، مكتبة الإسكندرية، مصر، د.ت.ن.

- **المراجع العربية:**

1. إيبش أحمد، تاريخ الشام في مطلع العهد العثماني، د.ط، هيئة أبو ظبي للثقافة والتراث أبوظبي، الإمارات العربية المتحدة، 2010.
2. البلوي مطلق، العثمانيون في شمال الجزيرة العربية 1908م-1923م الدار العربية للموسوعات، بيروت، لبنان، 2007.
3. بني المرجة موفق، صحوة الرجل المريض، د.ط، مطابع دار الكويت للصحافة، الكويت، الكويت، 1984.

4. التميمي عبد الجليل، الحياة الاقتصادية والاجتماعية في الولايات العربية أثناء العهد العثماني، منشورات مركز دراسات والبحوث العثمانية المورسكية وتوثيق المعلومات، زغوان، تونس، 1988.
5. التميمي عبد الجليل، دراسات في التاريخ العربي العثماني 1453م-1918م، ط1، منشورات مركز الدراسات والبحوث العثمانية المورسكية وتوثيق المعلومات، زغوان، تونس، 1994.
6. جبارة تيسير، تاريخ الدولة العثمانية 1280م-1924م، د.ط، عمادة البحث العلمي والدراسات العليا جامعة القدس، رام اللهن فلسطين، 2015.
7. الجميل سيار، تكوين العرب الحديث، ط1، دار الشروق للنشر والتوزيع، عمان، الاردن، 1997.
8. حلاق حسان، مكة المكرمة من خلال رحلتي ابن جبير وابن بطوطة، ط1، دار النهضة العربية للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، 1996.
9. الحويصري محمود محمد، تاريخ الدولة العثمانية في العصور الوسطى، د.ط، المكتب المصري لتوزيع المطبوعات، القاهرة، مصرن 2001.
10. آل زلفة محمد بن عبد الله، الإصلاحات العمرانية في الولايات العربية في عهد السلطان عبد الحميد الثاني على ضوء الوثائق والصور الفتوغرافية، ط1، دار بلاد العرب للنشر والتوزيع، أبها المملكة العربية السعودية، 2012.
11. السرحان راغب، روائع الاوقاف في الحضارة الإسلامية، ط1، شركة نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، الجيزة، مصر، 2010.
12. سعيد بن حسين عثمان وعبد المنعم إبراهيم الجمعي، الاعتداءات على الحرمين الشريفين عبر التاريخ، ط1، 1993.
13. السيد محمد السيد، مصر في العصر العثماني، ط1، مكتبة مدبولي، القاهرة، 1997.

14. الشريف موسى محمد بن حسن بن عقيل، المختار من الرحلات الحجازية إلى مكة والمدينة النبوية، مج1، ط1، دار الأندلس الخضراء، جدة، المملكة العربية السعودية، 2000.
15. الشناوي عبد العزيز، الدولة العثمانية دولة إسلامية مفترى عليها، ج1و2، د.ط، مكتبة الانجلو المصرية، القاهرة، مصر، 1980.
16. الصلابي محمد علي، الدولة العثمانية عوامل النهوض واسباب السقوط، د.ط، د.ت.ن.
17. ، فاتح القسطنطينية محمد الفاتح، ط1، دار التوزيع والنشر الإسلامية، القاهرة، مصر، 2006.
18. طقوش محمد سهيل، تاريخ دولة المماليك في مصر وبلاد الشام 1250م-1517م، ط1، دار النفائس للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، 1997م.
19. ، تاريخ العثمانيين من قيام الدولة إلى انقلاب على الخلافة، ط3، دار النفائس للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، 2013.
20. الظاهر عبد الباري محمد، دولة الخلافة العثمانية قراءة جديدة في نشأتها ومظاهر حضارتها وعوامل سقوطها، زرقاء اليمامة، الفيوم، مصر، د.ت.ن.
21. العالم العربي في التاريخ الحديث، ط1، مكتبة العبيكان، الرياض، المملكة العربية السعودية، 1997.
22. عطا الله زبيدة، بلاد الترك في العصور الوسطى، د.ط، دار الفكر العربي، الكويت، الكويت، د.ت.ن.
23. علي عمر سميرة فهمي، إمارة الحج في مصر العثمانية 1517م-1798م، د.ط، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، 2001.
24. كوندوز أحمد آق وسعيد أوزوتورك، الدولة العثمانية المجهولة، د.ط، وقف البحوث العثمانية، 2008.

25. متولي أحمد فؤاد، الفتح العثماني للشام ومصر، ط1، الزهراء للإعلام العربي، القاهرة، مصر، 1995.

26. ،تاريخ الدولة العثمانية منذ نشأتها حتى نهاية العصر الذهبي، د.ط، إيتراك للطباعة والنشر، القاهرة، مصر، 2005.

27.

28. مخلوف ماجدة، أوقاف نساء السلاطين العثمانيين وقفية زوجة السلطان سليمان القانوني على الحرمين الشريفين، ط1، دار الأفاق العربية، القاهرة، مصر، 2006.

29. مصطفى احمد عبد الرحيم، أصول التاريخ العثماني ط2، دار الشروق، بيروت، لبنان، 1993.

30. مؤنس حسين، ابن بطوطة ورحلاته،د.ط، دار المعارف، القاهرة، مصر، 2003.

31. نواب عواطف، بنت محمد يوسف، الكتب الرحلات في المغرب الأقصى مصدر من مصادر تاريخ الحجاز في القرنيين الحادي عشر والثاني عشر الهجري، د.ط، دار الملك عبد العزيز، 2001.

32. ياغي إسماعيل أحمد، الدولة العثمانية في التاريخ الإسلامي الحديث، د.ط، د.ت.ن.

- المراجع المترجمة:

1. ألبجوونج جان، السلطنتان خرم ومهرماه قرينة القانوني وسليلته، تح، إسماعيل كابلر، د.ط، دار النبيل للطباعة والنشر، القاهرة، مصر، 2014.

2. أبجان فريدون، سليمان القانوني سلطان البرين والبحرين، تر، جمال فاروق، ط1، دار النبيل للطباعة والنشر، القاهرة، مصر، 2011.

3. أوزوتونايلماز، تاريخ الدولة العثمانية، تر، محمود عدنان سلمان، مج1و2، ط1، منشورات مؤسسة فيصل للتمويل، اسطنبول، تركيا، 1988.

4. إيفانوف نيكولاي، الفتح العثماني للأقطار العربية 1516م-1574م، تح، يوسف عطا الله، تق، سعود الظاهر، ط1، دار الفرابي، بيروت، لبنان، 1988.
5. فاروقي ثريا، حجاج وسلاطين الحج أيام العثمانيين، تر، أبو بكر أحمد باقادر، ط1، منشورات الجمل، بغداد، بيروت، 2010.
6. هولاكو متين، الخط الحديدي الحجازي المشروع العملاق للسلطان عبد الحميد الثانين تر، محمد صواش، ط1، دار النبيل للطباعة والنشر، القاهرة، مصر، 2011.

- الرسائل الجامعية:

1. بابكور عمر سالم، حزام الامن العثماني حول الحرمين الشريفين في القرن العاشر الهجري، رسالة ماجستير، جامعة أم القرى، المملكة العربية السعودية، 1986.
2. بيومي محمد علي فهيم، مخصصات الحرمين الشريفين في مصر إبان العصر العثماني، 1517م1805م، رسالة ماجستير، جامعة الازهر، القاهرة، مصر، 1999.
3. جلال أمنة حسين علي، طرق الحج ومرافقة في الحجاز في العصر المملوكي 648هـ-923هـ، أطروحة دكتوراهن جامعة أم القرى، المملكة العربية السعودية، 1987.
4. شافعي حسين عبد العزيز حسين، الأربطة بمكة المكرمة في العهد العثماني دراسة تاريخية حضارية، رسالة ماجستير، جامعة ام القرى، المملكة العربية السعودية، 2001.
5. صديق أمال رمضان عبد الحميد، الحياة العلمية في مكة المكرمة 1703م-1916م، أطروحة دكتوراهن جامعة ام القرى، المملكة العربية السعودية، 2006.
6. العبدلي عائشة مانع عبيد، إمارة الحج في العصر الدولة المملوكية وأثرها على الأوضاع الداخلية بمكة المكرمة 1258م-1517م، رسالة ماجستير، جامعة أم القرى، المملكة العربية السعودية، 1999.
7. فرحات الكاملة، قافلة الحج المصرية إبان العهد العثماني من القرن 16م إلى القرن 18م، رسالة ماجستير، جامعة الجزائر 2، 2012.

- **المجلات والدوريات:**

1. زنجير محمد رفعت أحمد، في الطريق إلى مكة المكرمة، مجلة كان التاريخية، ع10، ديسمبر، 2010.
2. السرحان علي كامل حمزة، إمارة الحج العراقي في عهدي حسن باشا واحمد باشا 1704م-1747م، مجلة مركز بابل للدراسات الإنسانية، مج2، ع01، 2012.
3. ، قافلة الحج العراقي واهميتها في العهد العثماني، مجلة كلية التربية الأساسية، جامعة بابل، ع12، حزيران، 2013.

- **المعاجم:**

1. البعلبكي منير، معجم أعلام المورد، ط1، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، 1992.
2. الحموي ياقوت، معجم البلدان، ج3، د.ط، د.ت.ن.
3. الخطيب مصطفى عبد الكريم، معجم المصطلحات والالقاب التاريخية، ط1، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، 1992.
4. صابان سهيل، المعجم الموسوعي للمصطلحات العثمانية التاريخية، د.ط، مكتبة الملك فهد الوطنية، الرياض المملكة العربية السعودية، 2000.

- **المقالات:**

1. الشرعة إبراهيم فاغور، موقف القبائل البدوية من قافلة الحج الشامي والخط الحديدي الحجازي في القرن 19م وبداية القرن 20م، جامعة الاردن، د.ت.ن.
2. علوان نزار عبد الله، سكة حديد الحجاز وأشراف مكة المكرمة 1900م-1914م، الجامعة المستنصرية، العراق، د.ت.ن
3. مخلوف ماجدة صلاح، الخدمات والمرافق العامة في مكة في العهد العثماني 1517م-1916م، ندوة مكة المكرمة عاصمة الثقافة الإسلامية، 2005.

- **الأطالس:**

1. الملغوث سامي عبد الله بن أحمد، أطلس الحج والعمرة تأريخا ووقفا، ط1، مكتبة العبيكان، 2010.

- **المواقع الالكترونية:**

1. http://wwwottomanarachifves.info 2010/010/09.

الفهرس

الفهرس

الموضوع	الصفحة
شكر وتقدير	
الإهداء	
مقدمة	أ-هـ
مدخل تمهيدي	
العثمانيون والحج قبل 923هـ/1517م	6
المبحث الأول: الحجاز تحت الحكم العثماني 923هـ/1517م	
المطلب الأول: من الناحية السياسية.	16
1. الحج في العهد المملوكي	16
2. الحجاز في عهد السلطان سليم الأول 923هـ/1517م	28
3. سليمان القانوني والحجاز 1520م/1566م	36
المطلب الثاني: من الناحية الاجتماعية	38
1. المؤسسات التعليمية	39
2. المؤسسات الخيرية الاجتماعية	47
المطلب الثالث: من الناحية الاقتصادية	52

1. مساهمة الحجاج في التجارة	52
2. المهن المرافقة للحج	54
المبحث الثاني: القوافل الحج في العهد العثماني 923هـ-1335هـ/1517م-1916م	
المطلب الأول: قافلة الحج الشامي	60
المطلب الثاني: قافلة الحج المصري	65
المطلب الثالث: قافلة الحج العراقي	74
المطلب الرابع: قافلة الحج اليمني	79
المبحث الثالث: تأمين الدولة العثمانية وحمايتها للحج	
المطلب الأول: الخدمات العثمانيين لتأمين الحج	84
1. المنشآت المائية	84
2. الخدمات المقدمة للحجاج	94
3. الخط الحديدي الحجازي 1318هـ-1326هـ/1900م-1908م	100
المطلب الثاني: دور الدولة العثمانية في حماية الحج وقوافله	106
1. تصدي للهجمات الخارجية	106
2. حماية قوافل الحج	108
المطلب الثالث: رعاية العثمانيين للحرمين المكي والمدني	114

1. ترميم الكعبة المعظمة والمسجد الحرام	114
2. الملحقات المباركة الخاصة بالكعبة	121
خاتمة	126
الملاحق	129
البيبليوغرافيا	142
الفهرس	151